حقوق الإنسان في الإسلام
(رسالة الحقوق للإمام علي زين العابدين نموذجًا)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين اللهم صلِّ وسلم وبارك على حبيبك المصطفى وعلى آله وصحبه

قال تعالى:**[وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا]**[1]

من الجدير بالذكر أن حقوق الإنسان في الإسلام: هي واجبة منه، كما هي واجبة له، في الواقع أن مفهومها الصحيح والشامل والكامل أكبر وأعظم من تصور وتحديد الإنسان لها، حتى في إطلاقه لكلمة الحقوق.

فهي سلسلة متصلة الحلقات، تشمل كل حياة الإنسان بمتعلقاتها، ما يخصه وما يخص غيره من بني جنسه، وكذلك كل المخلوقات، من حيوان، ونبات، وجماد.

كما هي تحقق حكمة الخلق، والمعاد، والحياة، والموت، أي أن العمل الصحيح للحقوق: عقيدة – وشريعة – والقيم والأصول الأخلاقية ... كل ذلك يحقق للإنسان الاستقامة، والأمن والسلام النفسي.

ولذلك فإن الحقوق الإسلامية هي التكريم له، وبها يحقق الإنسان كل النعيم والسعادة.

ومن ثم فإن في الإسلام لا فرق بين أن أحصل على حقوقي من غيري، أو أن أفعل تلك الحقوق فالعمل الواجب له نية، وإرادة، وغاية: كل ذلك لأن عمل المسلم العارف بالله تعالى هو لله تعالى في كل شيء؛ فالواجب على المسلم أن يفعل تلك الحقوق، حتى ولو لم يأخذ كل مايجب له من حقوق.

ويتوكل على الله تعالى؛ ولذلك فإن انتشار الفساد يرجع إلى البعد عن العمل بتلك الحقوق لقوله تعالى :**[ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]** [2]

ومن ثم يجب التنبه إذا انفصلت حلقة من سلسلة تلك الحقوق، أثرت على غيرها، فتتبعتها بقية الحلقات سقوطا؛ لأن أي ضعف وقصور في عمل ما وجب في أحدها يؤثر على الأقرب منها، فالأقرب ... وهكذا.

ولذلك فالواقع الذي نعيشه، يدل على أن الإنسان وحده لا يستطيع تحديد كل الحقوق التي تحقق له الأمن والسلام، والحياة المستقيمة:

أولا: لأنه لا يستطيع، ولا يعرف أن يحيط بكل تلك الحقوق، وما يحقق له حياة صحيحة كاملة وشاملة الحياة كلها بما فيها.

ثانيا: أن نظرة الإنسان دائما هي بالأنانية على الدوام، وللأقرب له من الناس، الذي يحقق له تلك الغاية من حصوله على تلك الحقوق أكبر حق له؛ من ثم نجد الكثير من الناس تعيش في صراع وحروب... وفساد، وربما تموت عليه؛ لأنها لم تبصر حكمة الشارع الحكيم في تكريم الإنسان بتلك الحقوق.

فالعمل الصحيح بها يحقق الأمن والسلام النفسي، كما أيضا يحقق السلام والحياة الصحيحة في المجتمعات الإنسانية.

ولذلك هي واجبة الوجوب العيني، ولازمة للإنسان في أنفاسه، في العلن والخفاء، بنية واحدة وإرادة وفعل وعمل هو لله رب العالمين سبحانه وتعالى.

إذن من الجدير بالذكر: أن الحقوق الإسلامية هي الميزان الصحيح للحياة الصحيحة وهي الاعتدال والوسطية، والصراط المستقيم.. هكذا عاش الحبيب المصطفى ρ وعلى هذا النهج عمل

([1]) الإسراء:آية 70.

([2]) الروم: الآية41

آل بيته وصحابته، والسلف الصالح، فقد نبضت قلوبهم وقوالبهم بالحقوق الإسلامية؛ ومن ثم استطاعوا بقيمهم وأنوارهم الربانية إخراج الناس، من الظلمات إلى نور الحياة الصحيحة بالسلام والأمن النفسي والروحي.

وكان من أنوار هذه الحياة في خير العصور على الأرض: رسالة الحقوق للإمام العارف بالله تعالى "على زين العابدين" المستقاه من الكتاب والسنة النبوية الشريفة، ومن واقع ثمرات أنوار عمله الصادق، ومن بيت النبوة جمع الحقوق الإسلامية الكاملة، والشاملة في صفحات معدودات، بكلام بليغ جامع مانع، لم يترك للإنسان من التكريم في تلك الحقوق، سواء كانت له أو عليه، إلاَّ وفصّلها تفصيلا، في حركاته وسكناته، وما يتعلق بها، وقد ذكر كل ذلك من الواقع العملى من أنواره ρ، ومن علوم حفظها من الكتاب والسنة .

فما أحوجنا إلى تلك العلوم والأنوار من إمامنا **"زين العابدين"** في عصرنا، الذي نعاني فيه من غربة القيم والأخلاق الإسلامية، ومن الشتات والتفرق في أمتنا الإسلامية، ومن المهم قبل هذا العرض أن أتناول:

أولا: النظرة الإسلامية للإنسان، وما له من تكريم، وحقوق، بإيجاز أتناول من لائحة الحقوق للأمم المتحدة في مفهومهم الحسي والمادي للحياة وما أدى ذلك إلى فساد في الأرض وصراعات وحروب.

ثانيا: العرض والتحليل لعظمة الحقوق الإسلامية، في نموذج الإمام **"على زين العابدين"τ** على حسب المتاح والمتيسر. **يوضح ذلك التالى وعلى الله توكلنا.**

الفصل الأول
أسس النظرة الإسلامية للبشر

تمهيد:

من الجدير بالذكر، والعلم الذي لا شك فيه، المتواتر اليقيني بين الناس: أن الحضارة الإسلامية هي أجلّ وأعظم الحضارات الإنسانية على الأرض لا لعلومها فقط؛ ولكن لأنها شاملة كل الأصول والأسس، وما يتعلق بها في حياة الإنسان في الدنيا، وما بعد موته ... أي كل شيء له علمه وأصوله وحقوقه؛ حيث إن كل الأعمال الصالحة ممتدة، ليس في غاية الحياة الدنيا وما فيها ولكن هي إلى ما شاء الله تعالى في جناته بخلود الإنسان فيها إذا كان عاملا لله تعالى. فكل الأشياء في الحياة لها من الواجبات والحقوق، والأعمال التي تثمر النماء والصلاح، والتحضر بكل قيم نبيلة، وعلوم نافعة ؛ ليعم الخير على الأرض، وذلك لتستوي مع ما فطر عليه الإنسان

ومن ثم فإن هذا ليس وضعا إنسانياً، بل هو من تشريع الخالق Y البارئ المصور الحكيم العالم بخلقه.

وعلى ذلك لقد بلغت القيم الإسلامية، قمتها في الحضارة الإسلامية وإن أجلّها وأعظمها حقوق الإنسان؛ حيث إنها أحكام شرعية أثبتها الشرع الحكيم للإنسان، تكريمًا له وتحقيقًا لمصلحته الخاصة، مع مصلحة المجتمع العامة، مع صلاح الأرض، فهي حقوق متشابكة الأغصان، والفروع، كل غصن وفرع يتوقف على الآخر ... إلى جذر وأساس تلك الحقوق.

التي منه سبحانه الخالق العظيم، وإليه سبحانه .

ولذلك فإن المسلمين في حضارتهم العظيمة، كان لديهم التعبير**"بحقوق العباد"** و**"حقوق الله تعالى"** ؛ فهذا التعبير في واقع الأمر أصدق، وأوفى لحياة الإنسان من المصطلح العالمي لحقوق الإنسان.

فقد ختم الله تعالى الرسالات السماوية بالقرآن الكريم، وحفظه الله تعالى من التحريف، لقوله تعالى: **[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]** [1]

ومن ثم لم يحفظه إنسانًا، ولم يتدخل فيه بشيء وهو شامل الحياة، وكامل لكل شيء.

وقد تجلت حضارتنا الإسلامية في التعايش مع الآخر، فالحرية المسؤولة والعدل والمساواة وعدم الإكراه... وغير ذلك من الأسس في الشرع الحكيم، بوصفها وأصولها الشرعية: هي من لدن حكيم خبير. يبين ذلك التالى في وقفات مع عظمة الإسلام:-

المبحث الأول
وقفات في عظمة الحضارة الإسلامية:

<u>الوقفة الأولى:</u>..... (عظمة الإسلام من مهده)

إن عظمة الإسلام تتضح في مهده ؛ وبيئة نزوله، وأحداث زمنه، فالنشأة كانت في الجزيرة العربية، بظروفها البيئية القاحلة الجافة، والوعرة، والتى لم تكن بعواملها الطبيعة والبيئية، مهيأة لنشأة أى حضارة، ولا حتى قيام دولة، فكانت عبارة عن قبائل متفرقة، بينهما العصبيات والمنازعات، وفي كثير من الأحيان الحروب والتقاتل، ما يجعل تلك البلاد غير آمنة، كذلك أهلها كانوا في جاهلية وظلمة من العصبيات الشديدة.

لكن أراد الله تعالى أن تنزل الرسالة الخاتمة، على أعظم رسله وخاتمهم، سيدنا محمد ρ بينهم، فألف بين هذه القبائل، وبإعجاز رباني في بضع سنين انتشر الإسلام، فأصبحت تلك البلاد هى المنبع لأعظم حضارة سادت على الأرض، لذلك قال الله تعالى :(**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ**

([1]) سورة الحجر:9

جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ)[1] فكان أول الأسس لقيام الحضارة الإسلامية، من أول أمر نزل على رسول الله ρفي قوله تعالى:(اقْرَأْ)[2] فبرسوخ العقيدة، وعقدها في القلوب، وبسمو الأخلاق دانت لهم البلاد، وأشرقت نور الحضارة الإسلامية في العالم.

الوقفة الثانية: في الفتوحات والدعوة الإسلامية

إن عظمة الحضارة الإسلامية أنها جابت الأرض، بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا كان من جدال، فهو بأحسن القول، والقدوة الحسنة وبالمثل العليا ؛ ولذلك ما إن شارف القرن الأول الهجري على الانتهاء، إلاَّ وكانت الفتوحات الإسلامية، قد بلغت أقصاها من الشرق، حتى وصلت بلاد الهند، وتخوم الصين، ومن الغرب حتى شملت الشمال الإفريقي، وشبه الجزيرة الأيبيرية، ثم واصلت تقدمها حتى سهول فرنسا، وقد تم سيطرة العرب على البحر المتوسط وجزره، بدخولهم جزيرة صقلية 878ه.

لذلك من الجدير بالذكر : الغاية من تلك الفتوحات:

تتضح ذلك في قوله تعالى: **(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ)**

([1])الأنفال : آية 63

([2])العلق: آية 1: 5

ومن ثم لم تكن غايتهم قط إلاَّ تبليغ الأمانة، لوصول الإسلام للناس كافة، فمن شآء، آمن ومن شآء ظل على ما هو عليه، فلم يعرف عنهم أن كان هدفهم الهيمنة، أو السيطرة والإستيلاء على خيرات تلك البلاد بل على النقيض، فكانوا مصدر رخاء وسعادة لهم، وكان ذلك واضحاً وثابتاً في حسن تعايشهم، مع أهل تلك البلاد، من الديانات المختلفة، وهم ذات ثقافات مختلفة، في كثير من العلوم والفنون والصناعات.

ومن ثم أقوي الأدلة على ذلك أن المسلمين، في أزهى حضارتهم وقوتهم، وهيمنتهم في تلك البلاد يحرصون على البحث عن كل علم نافع في الحضارات السابقة، التى كانت لديهم، ويبذلون كل الجهد والمال، بالاستعانة بهم في البحث والترجمة، وقد بلغ احترامهم وتقديرهم للعلم آنذاك، أن الكتاب بقدر ما فيه من علم، كان يباع بوزنه ذهباً.

كذلك من أقوي الأدلة: أخلاقهم الإسلامية العظيمة، التى لم تكن في أى حضارة أخرى، وهي الأمانة العلمية، حيث إنهم كانوا ينسبون العلوم لأصحابها ويرجعون الفضل لأهله، رغم قوتهم وسلطانهم وإضافاتهم العلمية العظيمة، على هذه العلوم، في أصولهم الإسلامية، وإبداعهم في شتى العلوم.

ومن الغريب أن علوم تلك البلاد على الأكثر، كانت في حكم العدم بالنسبة لأهلها، فعلى الأكثر كانوا يجهلونها، فقط هي في خزانة تاريخهم. وأذكر مما يدل على ذلك، على سبيل المثال والتوضيح:

1- أن جابر بن حيان إستطاع أن يظهر علم الكيمياء التجريبية بصورة صحيحة، بعد أن كان ارتباطها أساساً في الحضارات الأخرى بالسحر والدجل والشعوذة .

2- في علم النبات أضاف العلماء ألفى نبات، كما ذكر لما كان يعرفه علماء اليونان من قبل (600 نبات فقط).

3- كذلك نبغ المسلمون أذكر من ذلك، علم الاجتماع الذى يرجع الفضل في نشأته العلامة ابن خلدون، فهو علم استقاه من القواعد والأصول الإسلامية.

4- كذلك في مجال الطب توصل "ابن النفيس" للدورة الدموية للإنسان، قبل أن يتكلم عنها "**هارفى**" الذى نسب إليه الغرب الآن هذا الاكتشاف كما نبغ " **أبو القاسم الزهراوي**" في الجراحة فكان كتابه " التعريف لمن يعجز عن التأليف" مرجعاً يدرس في كليات الطب الغربية على مدي قرون كما كان كتاب " المنتخب في أمراض العين" للعالم الطبيب "عمار بن على" أهم كتب طب العيون في زمانه.

وإليه يرجع الفضل، في استخدام الإبرة المجوفة، إزالة ماء العين (الكتاركتا) وفى علوم الطبيعة كان ابن الهيثم" أول من أكتشف، وتكلم عن قانون الضوء، وألف فيه. [1]

ومن ثم ومن الجدير بالذكر:

أن الثقافة الاسلامية لم تكن ثقافة جمود وانغلاق، وإنما كانت تفتح وتواصل مع الثقافات الأخرى لدراسة كل النافع والصالح للناس، وبما في أصوله يرجع إلى الأصول الإسلامية، والفطرية للإنسان فكان لهم السبق والابتكار، والإبداع في أهم العلوم الإسلامية.

<u>الوقفة الثالثة:</u> (الود والتسامح، والتعايش، ووجوه البر والقسط في البلاد المفتوحة). إن الأصل في الإسلام هو السلم والسلام والأمن والأمان، لقوله تعالى : **(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)**[2]

وكذلك لقوله تعالى : **(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)** ؛ ولقوله ρ: **(يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية)** [3]

هذا لأن الإسلام هو دين الحياة الصحيحة، في أسمى صورها، وأرقي حضارة إنسانية تشمل الموجودات على الأرض، وهذا لا ينفى أنه أمر اتباعه بالاستعداد، والإعداد بالقوة، والعدة والمصابرة

([1]) تابع بتصرف : الإسلام والآخر: (أحمد الجهينى–محمد مصطفي): ط الهيئة المصرية للكتاب سنة 2005، من ص 252 : 256.

([2])الممتحنة: آية 8

([3]) الحديث في صحيح البخارى (كتاب التوحيد) باب (28) –وصحيح مسلم بشرح النووى (2) ص 46، 47 .

والمرابطة، للجهاد فى سبيل الله تعالى لحكمة الحياة الكريمة، وللسلام بين الناس (**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن...**)[1] فمن الجدير بالذكر لأسباب أذكر منها:

أولاً: أن الإسلام دعوة عالمية تقوم على العلماء العارفين بالله تعالى، والمعروفين بين الناس بأخلاقهم الصالحة؛ ذلك لتبليغ أمانة الإسلام للناس كافة على الأرض .

ثانياً: إن الدعوة الإسلامية بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال لا يكون في الإسلام إلا بالتى هي أحسن، من العلم والتقوى، والصدق والإخلاص لله تعالى لقوله تعالى : (**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**)[2]

ثالثاً: لا إكراه على الاسلام، ولا في الدعوة إليه، لكن حمل أمانة التبليغ واجبة على العلماء والحكماء العارفين بالله تعالى، والكثير من الآيات الكريمة تدل على ذلك منها قوله تعالى (**أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ**)[3] وقوله تعالى : (**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**)[4]

وقوله تعالى : (**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن...**)[5]

رابعًا: لقد نهى الله تعالى عن البدء بالقتال، والعداء لهذا الآخر المخالف للدين، والرافض للدخول في الإسلام، والذى يتمسك بدين الآباء والأجداد، إلاَّ لو هو بدأ بالعداء، والقتال، وإن في الفقه الإسلامي أصول لذلك، وصفها الشارع الحكيم، ومما يدل على ذلك في كتاب الله تعالى أذكر قوله تعالى : (**وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**)[6]، وقوله تعالى (**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**)[7]، ولقوله تعالى : (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**)[8]

والكثير من الآيات القرآنية العظيمة التى تدلنا على تلك الأصول الأخلاقية ..

خامسًا : التعايش مع الآخر بتبادل المصالح، واطراد المنافع، وتقوية الصلات الإنسانية كذلك وروح التسامح والود الإنساني في رعاية الجوار، والبر، والقسط بهم، وحسن المعاشرة، مما يؤدي إلي القيم الإنسانية في أسمي صورة لها (كما سيأتي).

سادسًا: إن العلاقة بغير المسلمين لا تتبدل، إلاَّ إذا عملوا من جانبهم على تمزيق هذه العلاقة وفعلوا ما يظهر تلك العداوة بالمسلمين، بإعلانهم ضروب الحرب المختلفة، والإيذاء الواضح، عندئذ تكون المقاطعة أمراً شرعياً وواجباً إسلامياً، على حسب وصف الشارع الحكيم لقوله تعالى : (**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ**)[9]

ولذلك ومن الجدير بالذكر أن غير المسلمين ظلوا يتمتعون بروح هذا التسامح، في تلك القرون الحضارية من عهد الرسول ρ، وعهد الخلفاء الراشدين، فما زالت الأصول الإسلامية والقواعد العظيمة بين المسلمين، على الرغم ما يعانوه من عداوات غربية ظالمة للحقوق الإنسانية، وعلى سبيل المثال أذكر بعضاً من الآيات الكريمة في أمر الله تعالى، بالعدل والإحسان، ووجوب الوفاء بالعهد قال الله تعالى: (**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا من بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**)[10]

وأذكر من صور التسامح، والود، والروح الإسلامية:

([1]) الأنفال آية 60
([2]) النحل آية 125
([3]) يونس آية 99
([4]) الغاشية آية 22
([5]) البقرة آية 256
([6]) البقرة آية 190
([7]) المائدة آية 2
([8]) الاعراف آية 199
([9]) النحل آية 126
([10])النحل آية من 89: 93

فعندما كانت مظاهر الحضارة، في كل نواحي الحياة من العلوم والفنون والعمارة والثقافة والصناعات، فكان مجالس الخلفاء والوزراء والوجهاء، قبلة العلماء والشعراء والأدباء.

فمن بين روح الود والتعايش بالمعروف والقيم الإسلامية، كما ورد في (نفح الطيب) "للمقريزي": أن المسلمين شاركوا القبط في الاحتفال بأعيادهم، منذ السنوات الأول للفتح الإسلامي وأذكر كما روي المقريزي : من الأشياء المثيرة للدهشة كثرة عدد الوزراء من اليهود، والنصارى في العصر الفاطمي، وكان ذلك عهد "المعز لدين الله الفاطمي"، الذى أشاع روح التسامح، فقد أنفق من ماله الخاص على إصلاح الأديرة، والكنائس، وهذا ما جعل الكثير من المؤرخين المسيحيين يقولون عنه بأنه قد اعتنق المسيحية!!

كما يذكر المؤرخون أن بطرك الأرمن " أغريفوريس " قدم إلى مصر في العصر الفاطمى وقد أحسن استقباله أمير الجيوش، كما أحسن استقباله البطرك القبطي "كيرلص" وسمح له بالمشاركة في تعيين الأساقفة الأقباط.

ومهما طمس الكثير من الغرب حقيقة، ما كان من تفرد وتميز الحضارة الإسلامية وسماتها العظيمة، فإن الأندلس كانت أبهى نموذج حضاري، حتى وصفت بالجنة الأرضية.

ومن ثم كان الناس بمختلف ديانتهم، يتمتعون بالأمن والسلام والرخاء، والحرية؛ ولذلك ومن الجدير بالذكر كان ذلك من أهم العوامل لانتشار حركة علمية، وثقافية لم يشهدها أى عصر من العصور. فكانت البصرة، والكوفة، وبغداد، وجند يسابور، وحران، ومصر وغيرهم قبلة للعلم والعلماء العرب، وغير العرب.

وللعدل والمساواة بين الناس فى البلاد الإسلامية، لم يكتفوا أن يتقلدوا المناصب الإدارية فى الدولة.

بل كان فى عهد كثير من الولاة المسلمين، كانوا يتولون إدارة الكثير من المدارس، من النساطرة واليهود تارة أخرى، بفضل سماحة المسلمين.

هذا إلى جانب قيامهم بنصيب كبير فى إدارة بلادهم المفتوحة من المسلمين. وقد ساعد الكثير من علماء هذه البلاد على ترجمة علومهم للمسلمين، من أمثال: "حنين بن إسحق، وابنه وقسطا بن لوقا ويوحنا البطريق، .... وكثير منهم" [1]

ولذلك ومن الجدير بالذكر، أن تلك الأمم انصهروا في حياة المسلمين، وفي ظل الدولة الإسلامية والكثير منهم دخل في الإسلام، طوعًا واختيارا لمَّا وجد فيهم من عدالة، وحقوق، وما عاشوه في أتباعه من سماحة ومروءة، وهذا الذي جعلهم يرجعون إلى الأصول الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ليعرفون أصول هذه الحضارة العظيمة.

الوقفة الرابعة: في علم المسلمين من علوم وأصول في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لقوله تعالى: [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ] [2]

نجد أن تلك العوامل مجتمعة فجرت طاقات الإبداع، والابتكار في تلك العصور الحضارية.

فانطلق المسلمون مع إخوانهم، من أهل تلك البلاد، يأتون بكل جديد، وفريد في شتى العلوم والفنون، والمعارف.

ولذلك فلا عجب من عظمة هذه الحضارة عندما تمسكوا بأصولهم في القرآن والسنة، أن يتقدموا بهذا الوصف المذهل، بل والأعجب من ذلك أن يتفوق على العرب من المسلمين في هذه البلاد، عندما يعملون بأصوله، فيعظم شأنهم في العلوم الإسلامية، ويصيروا إلى الآن من أجل وأعظم علماء في الإسلام، على سبيل المثال الإمام البخاري، والترمذي، وابن ماجة في الحديث، وسيبويه في اللغة العربية.

ومن الجدير بالذكر:أن الأجناس الأخرى، كان لها دورا بجوار العرب، في صياغة الحضارة الإسلامية، ومنصهرة كلها في بوتقة الإسلام، وذلك في شتى مجالات الحضارة: في اللغة والأدب، والفقه والتفسير، والحديث، والسيرة، والطب والفلك... [3].

ولذلك كما قال" لغوستاف لوبون":

---

[1]() تابع الإسلام والآخر: ص126: 135 (بتصرف).

[2]() النحل: آية 89

[3]() تابع الحوار شريعة وواقعا وتاريخا: د. منير محمد الغضبان: ط دار السلام ص89 (بتصرف)

" وكان العدل بين الرعية دستور العرب السياسي، وترك العرب الناس أحرارًا في أمور دينهم وأظل العرب أساقفه الروم، ومطارنة اللاتين بحملتهم؛ فنال هؤلاء ما لم يعرفوه سابقا من الدعة الطمأنينة".[1]

[1]() تابع حضارة العرب: لغوستاف لوبون: ص152(ترجمة عادل زعيتر).

المبحث الثاني
الأسس والأصول الإسلامية في حقوق الإنسان

قامت الحضارة الإسلامية على أسس وأصول، شرعية تجلّت فى القرون الأولى من انتشار الإسلام، لقوله تعالى فى خطاب الناس كلهم : **[وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً]**[1].

فإن تقوى الله هى أساس وأصل أفعال المسلمون فى السلم والحرب، وذلك يرجع إلى أصول فى الحقوق الإنسانية أذكر منها التالى:-

الأصل الأول: حقوق المسلم فى التعليم والتعلم

لقد فرض الله سبحانه وتعالى العلم على كل مسلم ومسلمة؛ ولذلك فكما سبق كان أول امر فى أول آية نزلت على الرسول ρ كانت فى قوله تعالى : **[اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ]**[2]

ولذلك أمر الله تعالى الإنسان بالتعقل والتدبر والتفكر، للآيات الكونية من معارف، وعلوم قال سبحانه وتعالى : **[قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ]**[3].

وعلى الجانب الآخر قال الله تعالى **:[وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً]**[4].ولذلك ومن الجدير بالذكر، نهى الإسلام عن تقليد الآباء والأجداء دون التعقل والعلم الصحيح له، ونجد قوله تعالى : **[قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ]**[5].

ومن ثم ومن الجدير بالذكر، فقد ارتبط العلم بمعرفة الخالق عز وجل، وخشيته لقوله تعالى: **[إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء]**[6].

هذا لأن بالعلم يعرف الإنسان من أسرار، وحكم، وإبداع خلق الله تعالى فى النفس والأرض والآفاق.

وقد حوى القرآن الكريم من الآيات العظيمة، التى تنبه الإنسان بضرورة التعلم والتفكر فى خلق الله تعالى، منها قوله تعالى : **(حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ)**[7]

وبالدراسة والعلم والبحث والتدبير لآيات الله تعالى، يتبين للإنسان أن الله تعالى هو الحق سبحانه فقال الله تعالى:**(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)**[8].

وكلما ازداد الإنسان علمًا كلما عرف بقصوره، ونقصه، كذلك يعرف الله تعالى، فإذا كان الحبيب المصطفى رغم علمه يقول : **[وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً]** [9].

ومن ثم فليس فقط علوم العقيدة، والتفسير، والفقه، كما تصور البعض، ولكن يجب على الإنسان أن يعرف بقدر استطاعته من المعارف والعلوم، فكلها ترجع إلى الخالق عز وجل كما أمره سبحانه، وكما كان الرعيل الأول، ومن أقوال الحبيب المصطفى : أذكر قوله ρ : **(من سلك طريقًا التمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة)** [10].

---

[1]() الحجرات آية: 13.
[2]() العلق: آية 1: 5.
[3]() سبأ: آية46.
[4]() الإسراء: آية 36.
[5]() الزمر: آية 9.
[6]() فاطر: آية 28.
([7]) الرحمن: آية : 5 – 7 .
([8]) فصلت: آية 53 .
([9]) طه: آية 114.
([10]) رواه البخارى .

وما أعظم قوله ρ : (ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه إلى هدى، أو يرده من ردى وما استقام دينه حتى يستقيم عقله) [1].

ومعنى ذلك أن العقل اذا استقام يستقيم الدين ؛ ومن ثم فإنه ميزان استقامة الدين باستقامة العقل.

وقفة جديرة بالذكر فى استقامة العقل والدين.

كما سيأتى أن الحضارة الغربية بعلومها واكتشافها تأسست على أسس مادية فانية، ولذلك فى لائحة الحقوق للأمم المتحدة، نجد أن الدين ليس له قيمة : لا تشريعية، ولا أخلاقية. ولا اعتراف عندهم البتة بالحلال والحرام، ولا الدار الآخرة فإن الحقوق عندهم قوانين وضعية مادية متفاوته بين دولة وأخرى ومن ثم وجدنا كثرة الحروب والقتال وضروب الفساد على الأرض، وبين الناس.

صلة الكون بالمعلم والعالم :

ما أعظم حديث الرسول ρ، وأعظم قدر العلم فى قوله ρ : (**إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة فى حجرها وحتى الحوت فى جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير**) [2].

ولذلك فإذا انفصل العلم عن الخالق، فى نيته وغايته، وارتبط فقط بالحياة المادية والحواس، صار دمارًا، وفسادًا للأرض، مثل أسلحة الدمار الشامل، التى هى من علوم الشر والفساد فى الأرض التى ظهرت في العصور الحديثة، والتى مازال يعانى منها الإنسان على الأرض.

ولذلك من الجدير بالذكر أن استقامة العقل مع الأصول والقيم الإسلامية، هو يرجع إلى الفطرة الإنسانية، وطبيعة كل شيء في الحياة .

إن هذه الرؤية هى رؤية، ومبادئ وقيم ومفاهيم، نزل بها الوحى وطبقها العهد النبوى، فى الواقع البشرى؛ ولذلك فهى ترجع للفطرة الإنسانية، وتقنع العقل وتروى الوجدان، وهى بذلك وبالحجة الدامغة[3].

الأصل الثانى : العدل والمساواة:

إن العدل والمساواة، كما أشرت قبل ذلك، كان الأساس، فى نهج الأمة الإسلامية، قال رسول الله ρ، أكمل البشر بقدره العظيم في قوله تعالى**[قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ]** [4] فكان أهم ما ينبغى عليه حقوق البشر فى العدل والمساواة:

1- تشريع الله تعالى الخالق، الميزان الربانى الذى لا يخضع لرأى، ولا لهوى حاكم، أو سياسى جائر، ولذلك فان العدل فى نظر الشارع غاية يقصد لذاته، يطبقه الناس على الحاكم أو السياسى، فمن حق الناس سؤاله عن شريعة الله تعالى فى حكمه.

2- نظرة الحاكم والسياسى المسلم، أن حسابه، وعقابه عند الله تعالى فمهما كان من حساب شرعى فى الدنيا، إلاَّ أنه فى الآخرة هو الأساس فى الجزاء، وهذا هو عقيدة كل مسلم.

ومن ثم فان ضبط السلوك وتطويع النفس على العدل والمساواة، والتواضع لا يكون أبداً إلاّ بقوة أكبر من الإنسان، ووجوده، ولا يكون ذلك إلاَّ بشرعه سبحانه وتعالى.

3- إن أسس الدولة الإسلامية الأمن والأمان، والسلام فى الأرض؛ حيث تقوم العلاقة بالناس بمختلف عقائدهم، بالعدل، فلا أهواء ولا ميول نفسية في أحكام الله تعالى بين البشر، قال الله تعالى:**[إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ]** [5]

ومن ثم فان نظرة الحاكم فى الأمة الإسلامية، أنه الفرد الذى يأتى يوم القيامة، ويحاسبه ربه سبحانه وتعالى على رعيته؛ بقوله تعالى**[إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً]** [6]

وقفات من الصور العظيمة فى الحضارة الإسلامية:

([1]) رواه البخارى .

([2]) رواه البخارى .

[3]() تابع إشكالية الإستبداد والفساد: أ0د عبد الحميد أحمد: د دار السلام: ص 145 (بتصرف).

[4]() الكهف: آية 110.

[5]() النساء: آية 58.

[6]() مريم: آية 93- 95.

لقد سبق أن الحق، والعدل، والمساواة، هى الأصول، والقواعد، منذ العهد الأول الإسلامى، وقد كانت واقعاً عملياً بين الناس، ولذلك هى ليست قاعدة بشرية، بل هى نهج ربانى وشريعة من لدن حكيم عليم، حفظه الله تعالى فى القرآن الكريم منها اذكر التالى:

1- إن فى خطبة الوادع، فيها من الوصايا والتحذيرات للناس كافة على الأرض حيث خاطب رسول الله ρ الناس جميعاً من عهده.. إلى يوم القيامة، ومن ثم فقد شملت كل القضايا الإنسانية، اذكر منها:

"أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربى على أعجمى، ولا أعجمى على عربى، ولا أحمر على أبيض، ولا أبيض على أحمر فضل إلاَّ بالتقوى، ألاَّ هل بلغت؟ اللهم فاشهد. ألاَّ فليبلغ الشاهد منكم الغائب"[1]

ولذلك نشأت الصحابة رضوان الله عليهم على هذا الأدب، وكان مجلسه ρ المثل العليا لذلك، وقد حدث من الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى ما يشبه فعل الجاهلية، حيث روى رضى الله عنه أنه احتدم الجدال بينه وبين أحد الزنوج، فعيره قائلاً: (يا ابن السوداء)، فأنكر رسول الله ρ، قائلا ρ (أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ في جاهلية).

وقد غضب ρ قائلاً: (طف الصاع، طف الصاع) أى جاوزت الأمر كل جد، (ليس لأبن البيضاء على ابن السوداء فضل إلاَّ بالتقوى أو بعمل صالح). وقد ندم ψ ندماً شديداً، وأثرت كلمات الرسول ρ فى نفسه، لدرجة أنه ألصق خده بالأرض، وقال للأسود: (قم فطأ على خدى) [2]

2- قصة المرأة المخزومية، التى تقرر قطع يدها؛ لثبوت جريمة السرقة عليها، ولمكانة أسرتها وسطت" أسامة بن زيد " للشفاعة لها عند رسول الله ρ غضب رسول الله ρ، لما تحدث به أسامة وانتهره، فقال له ρ مستنكراً: (أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة؟!) ثم قام ρ فى الناس خطيباً، يقول لهم: (إنما أهلك الذين من قبلكم إنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد).

ثم قالρ:**(لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)**[3]

هذا أيضاً لقوله تعالى:[**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**] [4]

3- من أعظم العهود الحضارية للمسلمين، عهد خلافة عمر بن الخطاب ψ

كان فيها من المثل والأسوة الطيبة برسول الله ρ اذكر من عظيم هذه الصور:

كان عمر بن العاص، والياً على مصر، وقد اشتبك إبنه مع أحد المصريين وضربه، وقد أغراه ملك أبيه، فلم يهتم بما فعله، فأقسم المصرى ليأخذ حقه، وأن يبلغ شكواه لخليفة المسلمين فى مكة المكرمة، لأنه يعلم أنه يعيش فى ظل قوة دولة الحق والعدل والمساواة.

ففى موسم الحجيج، رأى المصرى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب، فقال له:

إن هذا! وأشار إلى ابن عمر، ضربنى ظلماً، ... ولما توعدته بالشكوى إليك، قال ! افعل فلا تضرنى شكواك (أنا ابن الأكرمين) فنظر عمر بن الخطاب إلى عمر بن العاص، نظرة استنكار، وقال له الكلمة العظيمة المشهورة:

(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)، ثم توجه إلى الشاكى، وناوله سوطه وقال له: اضرب ابن الأكرمين، كما ضربك

ومن عظمة عدله، ومتابعته البلاد الإسلامية، وحرصه على المساواة بين الناس: كتب إلى عمرو بن العاص، والى " مصر" يقول له:

" بلغنى إنك تتكئ فى مجلسك، فإذا جلست فكن كسائر الناس.

---

[1]()تابع الخطبة فى صحيح رواه البخارى ومسلم.

[2]() رواه البخارى فى صحيحه ومسلم.

[3]() رواه البخارى فى صحيحه ومسلم.

[4]() المائدة: آية 8.

ومن زهده وورعه لله تعالى، رفض أن يأخذ مقابل رعيته للحكم، من بيت المال إلاَّ لضرورة، ومن ثم كان قدوه لولاته (كما سبق) أن لا يتكسبوا من هذا الأمر، فكان دائما يقول: (أنا فى مال المسلمين كولى اليتيم إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف...!)[1]

فكان ψ، وكل من يقوم فى حكم البلاد الإسلامية، والجهاد فى سبيل نشر الدعوة، لا يقتضون إلاَّ القليل من عمل شاق، ومسئولية عظيمة فى بناء دولة عظيمة، ملئت الأرض آمنًا وسلامًا وعدلاً.

الأصل الثالث : حقوق وحرية أهل الكتاب:

1- إن الحرية، ترتبط بالعدل والمساواة، وهى من الأسس الحضارية للدولة الإسلامية مسئولية للفرد كما هى من حقوقه الأساسية.

فإذا كان مالك الملك، الخالق عز وجل، قد جعل معرفته وعبادته اختيارية، فهل للإنسان على الإنسان من سجن لهذه الحرية؟!

4- لكن إن الحرية فى الإسلام مسئولية، وشروط وأصول، معروفه فى الفقه الاسلامى منها: أن لا يفسد فى الأرض، ولا يؤذى من مخلوق قط. والأدلة كثيرة فى القرآن الكريم، قال الله تعالى: (**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي**) [2]

وقال تعالى لرسوله ρ : [**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**] [3] وقال تعالى: [**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**][4] ولذلك فإن الآداب الإسلامية عظيمة احترام حرية الناس، مع قضاء حقوقهم، فإذا كان الرسول ρ كان يحترم الإنسان ميتاً، على رغم كفره بالله تعالى أليس بأولى بالمسلمين أن تتأدب ولا تتدخل فيما لا يعنيها فى حياة الناس!!

فقد روى عن رسول ρأنه قام لجنازة يهودى، فى صحيح البخارى عن جابر ψ قال: (مرت بنا جنازة فقام لها النبى ρ، وقمنا فقلنا يا رسول الله!! إنها جنازة يهودى؟ قال: إذا رأيتم الجنازة فقوموا) وفى رواية أخرى(أليست نفساً؟)

ومصداقاً لذلك أيضاً، وصيته ρالعظيمة :

(لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ومن آذى ذمياً كنت خصمه يوم القيامة).

5- وقد وصى عمر بن الخطاب ψ، سعد بن أبى وقاص، ومن معه من الأجناد، حيث وصيته: "....ونح منازلهم(أى جنودك) عن قسرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلاَّ من تثق بدينه، ولا يرزا أحداً من أهلها شيئاً، فإن لهم حرمة وذمة، ابتليتم بالوفاء بها.

كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فوفوا لهم"[5]

وقفة جديرة بالذكر فى مدى الرحمة والرفق بأهل الذمة:

إن أهل الذمة لم يرتضوا إلاَّ بما لديهم من دين، وهم فى ذمة عظمة الأمة الإسلامية.

ومن ثم موقفهما معاً، من نوادر التاريخ:

أولا: رفق عمر بن الخطاب ψ، وجيشه بهم، وشفقته لهم، بأمره بتنحية جيشه عنهم بقوله(كفى من تحملهم من وجودهم لناحيتهم).

ثانيا: مدى الأمان والسلام والرخاء الذين عاشوا فيه أهل الذمة، فى تلك الحضارة العظيمة.

ثالثاً: من الجانب الأخلاق حينئذاك، أخلاق أهل الذمة، وكرمهم فى استضافة، عسكر المسلمين ثلاثة أيام، على رغم من اختلاف الدين، وعلى رغم رؤيتهم للمسلمين، فى عظمتهم وجهادهم فى نشر دعوة الإسلام، وهو الذى لم يرتضوا به.

رابعاً: هنا التطبيق العملى من المسلمين لعدم الإكراه فى الدين، بل الأمر اكبر من ذلك هو خلو قلوبهما معاً، من أى ضغائن وحيل تجاه الآخر منهما.

---

[1]() تابع حقوق الإنسان...) الشيخ محمد الغزالى: ص58، (بتصرف)

[2]()البقرة:265.

[3]() الغاشية: 21،22.

[4]() الكهف: 22.

[5]() تابع: المرجع السابق : ص 59 (بتصريف).

4- إن فتح البلاد للدعوة الإسلامية، كان فتحاً، وتحريراً لشعوب تلك البلاد، على وجه الخصوص أهل الكتاب، فنجد قمة الحرية، عندما دخلت الجيوش الإسلامية فاتحة، للدول المحتلة للفرس والروم، فقد أسقطوا حكم الأكاسرة، وظلمهم. وردت الحقوق إلى شعوب تلك البلاد من أهمها الأمن والسلام والعدل والمساواة، والرحمة، والحرية، وكافة حقوقهم الاقتصادية، فقد تغيرت أحوالهم تماماً.

الأصل الرابع: حق الحياة وحرمة الدم:

إن حرمة الدم عظيمة فى الإسلام، والكثير من الأحاديث الشريفة التى تدل على ذلك أبرزها ما سبق فى خطبة الوداع، منها قوله ρ : (إن دماؤكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا)[1]

وقال ρ : (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة).[2]

وقد ورد عن ابن عباس، كما رواه الطبرانى فى صحيحه:

قتل بالمدينة قتيل على عهد رسول الله ρ، لم يعلم من قتله، فصعد النبى ρ **المنبر** فقال:

(ياأيها الناس يقتل قتيل وأنا فيكم، ولا يعلم من قتله، لو اجتمع أهل السماء والأرض على قتل امرئ لعذبهم الله تعالى إلاَّ يفعل ما يشاء**)**

وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةًقَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[3]

ولذلك إن تعذيب الناس، من الكبائر، التى تغضب الرسول ρ :

روى هشام بن حكيم، أنه مرَّ بالشام على أناس من الأنباط وقد أقيموا فى الشمس، وصب على رؤوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون فى الخراج)

فقال هشام: أشهد أنى سمعت رسول ρيقول**:**

(إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا**)**

ودخل على الأمير، فحدثه فأمر بهم فحلوا.[4]

وهذا ليس غريباً لأن حرمة الدم، والحفاظ على الحياة، لا يخص الإنسان فقط، بل الحيوان أيضاً لقوله ρ :(دخلت امرأة النار فى هرة حبستها، فلا هى أطعمتها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض)

وغفر الله تعالى لرجلاً سقى كلباً يلهث من العطش، فروى عن النبى ρ: (أن رجلاً أصابه ظمًأ شديًد، فنزل بئراً ليرتوى من مائها فلما خرج منها، رأى كلباً يلهث يلمس الثرى من العطش فقال لى: لقد أصاب الكلب من الظمأ، مثل الذى أصابنى، فنزل البئر وملأ خفه، وسقى الكلب فشكر الله له فغفر له).

وقد سبق ذلك فى حقوق الإنسان والحيوان.

الأصل الخامس: قدرة الحاكم وحكمته السياسية:

من الجدير بالذكر أن ولاية الحكم، وما يخص قرارات الدولة، من الأمور الخطيرة جداً فى الإسلام حيث إن حاكم الدولة إذ لم يعرف خطورة منصبه، إذا ظلم أو إذا أمر بشئ ليس فيه من الحكمة والحنكة ماذا تكون عاقبته على الناس، وعليه فى الآخرة، فإن ذلك من الخسران المبين.

فمن أهم أسباب الفساد فى العالم الاسلامى، على الأكثر هو هذا السبب، وهذا ما أدى إلى تدهور أحوال المسلمين.

لمَّا تولى أبو بكر الصديق ψ الخلافة، بعد رسول الله ρ خطب الناس فقال: (**يا أيها الناس: أنى وليت عليكم، ولست بخيركم فإن أحسنت فتابعونى، وإن صدقت فقومونى. القوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوى حتى اخذ له الحق، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فان عصيت فلا طاعة لى عليكم)**[5]

هكذا بدأت الدولة الإسلامية (القوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف قوى حتى آخذ له الحق)

وقد سبق كيف كان عمر بن الخطاب يتابع العالم الإسلامى فى حكامه ومحكومين

---

[1]() رواه البخارى فى صحيحه.

[2]() رواه البخارى فى صحيحه.

[3]() البقرة: آية: 30 : 32

[4]() رواه مسلم.

[5]() رواه البخارى فى صحيحه.

قال عمر بن الخطاب ψ عندما تولى الخلافة:

(.... لوددت أنى وإياكم فى سفينة فى لجة البحر، فذهبنا شرقاً، وغرباً، فلن يعجز الناس أن يولوا رجلاً منهم، فإن استقام اتبعوه، وإن جنف قتلوه.

فقال طلحة: وما عليك لو قلت: وإن تعوج عزلوه، فقال عمر: لا القتل أنكل لمن يأتى بعدى).

فقد أراد لنفسه القتل على أن يعزلوه من الولاية عليهم؛ لأنه يعرف مدى خسارة الأمة، إذا لم يتولى أمرها الذى يصلح، ولذلك كتب لأبى موسى الأشعرى، واليه على الكوفة يقول: (يا أبا موسى إنما أنت واحد من الناس، غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً إن من ولى أمر المسلمين يجب عليه ما يجب على العبد لسيده)

ومن شده حرصه على تأدب ولاته، وعلى مساواتهم بالناس: كتب إلى عمرو بن العاص والى مصر يقول له:(بلغنى أنك تتكئ فى مجلسك، فإذا جلست فكن كسائر الناس)

وعند أنفاسه الأخيرة، عندما طعن، قيل له:

(أوصى يا أمير المؤمنين...استخلف)

فقال ψ : أ أتحمل أمركم حياً وميتاً؟!

وإن استخلف، فقد استخلف من هو خير منى، رسول الله ρ[1] ورفض أن يكون لإبنه الخلافة فقط أن يكون له الرأى فى الخليفة، بعد كبار الصحابة.

هذا لأن الحاكم فى الحضارة الإسلامية العظيمة، هو محكوم من رعيته، بتطبيق كل القيم الإسلامية، ومسئول مسئولية خطيرة، فلا تميز بين الحاكم والمحكومين، ولا تفرقة بين حقوق المسلمين وغيرهم.

وهذا ما انتهج عليه الرسول ρ، وصاروا على أدبه

عن أبى ذر الغفارى ψ قال: قف: يا رسول الله ألا تستعملنى؟

(أى تولينى عملاً) فضرب بيده على منكبى، وقال: يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلاَّ من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها)[2]

فمنذ ذلك علم الرعيل الأول، أنه ليس كل من له كفاية العلم والعمل، يستطيع إدارة وسياسة المناصب، وتولية أمور المسلمين.

وإن كان ذلك من الشروط الأساسية، لكن يشترط أن تتوفر فى شخصيته فهم أمور الحكم، والقدرة عليه، والحنكة، والحكمة فى قرارته، وأن لا يهمل ولا يتسرع.. وذلك إلى آخر ما فصله الشرع فى قدرة الذى يتولى أمر المسلمين، ولا يبغى ولا يرجو إلاَّ وجه الله تعالى.

جاء رجل يسأل رسول الله ρ : متى تقوم الساعة؟ فقال له: وكيف إضاعتها؟ قال ρ: **(إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة)**[3] .

فلعظم هذا الأمر، وخطورته فى حياة الناس، قال عنه ρ أنه من علامات الساعة، وقد وصفه ρ بالأمانة، التى يحملها الإنسان، لثقلها فى حساب يوم القيامة.

وقفة جديرة بالذكر فى تدهور أحوال المسلمين:

جاء الإسلام ليقضى على النظرة العنصرية، وعلى كل ظلم من آثار الجاهلية.

ولذلك تحطمت أصنام العنصرية فى دولتين عالمتين حينئذاك: (الروم، والفرس)، فاخرج الإسلام الناس من هذه الظلمات(كما سبق) إلى نور الحياة الفطرية؛ ولذلك حقق للإنسانية كرامتها.

لكن للأسف الشديد العالم الاسلامى اليوم، فى تشرذم وخلافات، وتفرق، والأصول الإسلامية والقيم صارت غريبة بينهم.

ورجع الإنسان إلى النظرة العنصرية، فالضعيف يزداد ضعفاً، والقوى الظالم يزداد تجبراً وظلماً.

---

[1] () تابع حقوق الإنسان....المرجع): الشيخ محمد الغزالى: ص58،59(بتصرف).

[2] () رواه البخارى ومسلم فى صحيحها.

[3] () رواه البخارى ومسلم فى صحيحها.

وانتشر الفقر، والمرض، والأوبئة الخطيرة بين المسلمين؛ فضاعت حقوق الإنسان، وكرامته على رغم التغنى بتلك الحقوق، والعدل بين الناس، وإن من يطبق أصول الإسلام، وقواعده صاروا للأسف قلة عن تفشى الظلم بين الناس.

وقال الله تعالى فى ذلك: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [1] فإن الله تعالى لا يغير أمر هؤلاء إلاَّ إذا انتهجوا النهج الاسلامى بقلوبهم وقوالبهم.

[1]() الروم: 41.

المبحث الثالث

وقفات فى البيان العالمى لحقوق الإنسان

من الجدير بالذكر فى هذا البحث، الذى يوضح من مواقف عظمة، الحضارة الإسلامية فى حقوق الإنسان، أن أبين تناقض الحضارة الغربية، وعدم قدرتها على الإصلاح بين الناس وذلك فى ظل ما تهمين به من سياسات عالمية، على قدر المستطاع فى هذا البحث.

فعلى الرغم ما تتغنى به الدول الكبرى، فى لائحة الحقوق للأمم المتحدة، من قيم، وحقوق ومواثيق دولية، فى حياة الإنسان، وحريته، وكرامته، والعلوم الحديثة، وكل مؤتمراتهم التى تجمع بها الدول وما يقررون فيها، إلاّ أن أرض الواقع لا تجد إلاَّ الظلم لحقوق الإنسان، على وجه الخصوص فى الدول التى أطلقت عليهم بالعالم الثالث، أو الدول النامية، وما يعانون من انتهاك لحقوقهم، وتدهور أحوالهم وللأسف الشديد إن ما تعانى منه الأمة الإسلامية، من خلافات وقضايا خطيرة بينهم، وحروب فى كثير من الدول، بسبب تدخل الدول الكبرى فى شئونها الداخلية، كذلك ولا استعمارهم لخيرات تلك البلاد، بين ذلك التالى :

موجز عن نشأة ميثاق لائحة الحقوق للأمم المتحدة :

منذ القرن الثالث عشر الميلادى، فى أعقاب الأزمات والحروب، والثورات الطبقية والشعبية، كان يتفجر نظريات بين الحين والآخر، فى حقوق الإنسان فى الحرية والعدل والمساواة.

وهى المطالب الطبيعية للإنسان، عندما تضيق به الحياة، ويتفشى الظلم والفساد بين الناس.

ولم يكن لها الأثر العالمى، بالقياس ما حدث من آثار مثياق الأمم المتحدة، منها:

1- على سبيل المثال فى انكلترا : فى عام 1679م، أصدر الملك (جان الثانى) من آل ستيوارت القانون المعروف باسم : قانون تحرير الجسد (آبيس كوربوس) corpus Habeas بموجبه امتنع حبس الأفراد، إلاَّ للدين، أو تهمة جنائية، لكن بعد ذلك ألغوا الحبس من أجل الدين بالقانون فى عام 1816م واقتصر الحبس على ذوى الجرائم الجنائية، أو المتهمين بها [1].

2- وفى الولايات المتحدة الأمريكية، تضمنت وثيقة الاستقلال الصادرة فى اليوم الرابع من شهر تمور(يوليو) عام 1776م، بيانًا ببعض الحقوق، كحق الحياة والحرية، ولم يقصد الأمريكيون يومئذ من ذلك تقرير حق الإنسان بها.بل أرادوا بها تبرير حربهم التى أعلنوها على إنكلترا فى عام 1775م تلك التى انتهت باستقلالهم فى عام 1783م.

3- فى فرنسا، وضع نواب الشعب بيانًا بحقوق الإنسان، أعلنوه فى اليوم السادس والعشرين من شهر آب عام 1789م، وكان أهم ما تضمنه تقرير المساواة، وصيانة حرية الفرد وسلامته، واحترام الملكية، وحق الشعب، فى مقاومة الظلم والاستبداد، وقد تأكدت هذه الحقوق فى مقدمة الدستور الصادر فى الثالث من أيلول (سبتمبر) عام1791م.[2]

وهكذا بين الحين والآخر كانت لهم جولات، حول حقوق الإنسان .

4- ثم عاش الغرب ويلات حربيين عالميتين، كان لهما من الدمار والفساد مالا يوصف على الغرب والشرق معًا ؛ ومن ثم بعد الحرب العالمية الثانية، أصبح لزامًا على الدول الكبرى من أعقابها الدامية عليهم أن يتفقوا جميعًا على مواثيق الأمن والسلام، .. وكل ما يتعلق بحياة الإنسان وحقوقه.

فتداعت شعوب العالم العربي إلى عقد مؤتمر فى مدينة " سان فرنسيسكو" عام 1945م لإقرار السلام، وليرد للإنسان كرامته، وحقوقه، وحريته، وليشارك العالم كله هذه الحقوق والحريات، دون تمييز فى الجنس، أو اللغة، أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء" [3].

وقد بدأت حينذاك منظمة للأمم المتحدة، وكان قرارات ما تم فى هذا المؤتمر فقط اقتراحًا من ممثلى (فينا) و(كوبا) و(المكسيك)، ولكن وضع فى هذا المؤتمر ميثاق الأمم المتحدة [4].

([1]) تابع حقائق من الفكر الإسلامى : أ0د محمد عبد اللطيف صالح الفرفور : ط دار المكتبى (الأولى 1423هـ - 2002م) 218(بتصرف).

([2])المرجع السابق : ص 219 (بتصرف) .

([3])تابع الإسلام والقانون الدولى : أ0د0 إحسان هندى : ط الأنجلو ص 167(بتصرف).

([4])تابع حقوق الإنسان بين المفهوم العربي الإسلامى : د/ نبيل فروز : ط مكتبة الأنجلو ص 54 (بتصرف).

ومنذ ذلك الحين، وهم فى سعى لاتفاق دولى بينهم، فى 1948م حتى تم الاتفاق بأكثر من 48 دولة، من إجمالى 56 دولة، هم كل الأعضاء الأمم المتحدة فى ذلك الوقت.

وقد اعتبرت الدول الكبرى فى ديباجته المثل الأعلى، الذى يحتذي به فى حقوق الإنسان على رغم أنه امتنع عن التصويت ثمان دول، منها المملكة العربية السعودية.

تعريف ميثاق الأمم المتحدة .

كما سبق تبين أن ميثاق الأمم المتحدة هو: معاهدة، واتفاق من أعضاء المجتمع الدولى الذى يحفظ حقوق الإنسان بين الدول، ويضمن السلام والعدل بينهم.

وعلى حسب الميثاق بينهم: هو أيضاً الأمر التنفيذى، الذى يفرض على الأطراف المتعاقدة الالتزام بهذه القواعد والأسس؛ ولذلك فلها السيادة على القواعد والدستور الداخلى، لتلك الدول[1].

ومن ثم : فإن ميثاق الأمم المتحدة هو الذى يضع فى المقدمة أعضاءه من الدول الكبرى؛ ولذلك فله الخصوصية العالمية، وهو الذى ينظم سلطانها ووظائفها.

ومن ثم فخطره يرجع إلى أنه يحدد النظم، والقوانين، التى تحفظ هيمنته، فهو يملك السلطة الدولية ويحدد السياسة العالمية لكيفية التعامل مع العالم، فقد تجمع الدول الكبرى على عقاب دولة صغيرة، من تلك الهيمنة الدولية.

وهكذا فقوته: سلطان، وإلزام عالمى، وسيادة، بحيث لا تستطيع الدول الصغرى، أن تملك الاعتراض، أو الدفاع عن نفسها، إذا وقعت تحت سيطرتهم العدائية، من مختلف الضغوط العقابية.

النظرة الاستعمارية فى كثير من الأحيان لم تتغير:

على رغم نشأة ميثاق الأمم المتحدة، لتحقيق الحياة الكريمة للإنسان، إلاَّ أننا فى الواقع العملى، ما وجدناه فى العالم، أنه قد سيطرت المفاهيم الغربية، على قراراتها دون حساب، لأى أصول إسلامية، وهى التى تناقض مع فلسفتها الإلحادية، ونظرتها للمخلوقات.

كذلك نجد أن قراراتها مصبوغة، بكرههم للعالم الإسلامي، فمن المؤسف : أنهم قد توارثوا هذا الكره البيَّن، منذ الحروب الصليبية على المسلمين، ولذلك كثيراً ما نجدهم يتهمون المسلمين بالإرهاب، لمجرد أحداث ليست ثابتة، أو من فعل يشذ عن الفكر الإسلامى الصحيح.

ذلك لأنها دائما تطلق الاتهام للإسلام بأنه يقمع الحريات؛ ولذلك من الثابت لدينا جميعًا أن الدول الكبرى هى التى تعمل على خلق ودعم وتنشيط التيار المتطرف، لذلك بحمايته وتمويله.

ومن ثم لقد فشلت للأسف الشديد، كما سيأتى لائحة الحقوق للأمم المتحدة بأن يكون ميثاقها، عاماً ومعبراً، عن جميع الثقافات العالمية، وطبيعة الدول الفكرية، ولم تستطع أن تطبق نظرياتها فى العدل الإنسانى بين الشعوب.

الوقفة التعجبية الأولى:

لقد تأسس الإعلان العالمى، لميثاق الأمم المتحدة، على إنكار وجود الله سبحانه تعالى أو على الأقل فى زعمهم الكافر، فصل سلطان الدين عن تلك الحقوق.

فلا أكبر فى زعمهم من أصولهم العقلية، واجتهاد أفكارهم، ذلك على حسب الأعضاء المختارة، من الدول الكبرى، هم الذين يملكون وضع هذا الميثاق، وتطبيقه كما يرغبون.

ومن ثم لقد اعتمد هذا الميثاق على وضعهم البشرى، ومعاييرهم السياسية.

كذلك على قدرتهم التقديرية، وهى التى كثيراً لا تتناسب، وتتناقض مع كل الدول على السواء، فإذا مالت إلى دولة، بحقوق ما، كانت على الجانب الآخر ظالمة لأخرى، كانت تخالفها فى تلك الحقوق.

فعلى سبيل المثال:

فى المادة الأولى من الإعلان، وهى الأساسية فى لائحة الأمم المتحدة، إذ تقول:

"يولد الناس أحراراً، ومتساويين فى الكرامة، والحقوق، وقد وهبتهم الطبيعة العقول والوجدان، وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء"[2].

---

[1]() الوجيز فى حقوق الإنسان وحرياته الأساسية : د/ غازى حسن صبارينى، ط دار الثقافة (الأردن) 1995م: ص: 46(بتصرف)

[2]() تابع الإعلان العالمى لحقوق الإنسان (الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان): د/ محمود شريف بسيونى. المجلد الأول: ص.7، وما بعدها (بتصرف) : ط :مكتبة دار الفكر العربى (القاهر).

وقد أثارت هذه المادة خلافات كثيرة بين الدول الغير أوربية، فأول مادة يزعمون أنها الأساس الأول لحقوق الإنسان هى إنكار الحق والأصل لوجود الموجودات، ولمّا زادت الخلافات برفض هذه الصياغة من كثير من الدول الإسلامية استبدلوها : (وقد وهبوا) [1]، على رغم أنهم يعلمون أن الطبيعة لا تهب شيئاً.

وفى الواقع البين أن اللفظين لا يغير أصولهم الإلحادية، فشتان ما اعتمد عليه وتأصل فى الأسس الإسلامية، وبين ميثاقهم الذى يعتمد على الفكر البشرى، بمعايير غربية؛ ومن ثم حتى ولو اتفقوا على أصول فطرية فى حقوق الإنسان، من حرية، وعدالة، ومساواة ... إلاَّ أن التطبيق العملى يختلف بين الفكر البشر، والمنهج الإلهى.

هذا بالإضافة إلى ما تخفيه نواياهم من أطماع بشرية، وعدائية للدين الإسلامى.

وكذلك من أمثلة ذلك، كما جاء فى المادة(18)، من الإعلان العالمى، تعبر عن سيطرة المفهوم الغربى، وخاصة حرية العقيدة، على كل الدول الإسلامية وغيرهم[2] ؛ ولذلك ذكر ممثل السعودية، أثناء مناقشات إعداد الإعلان :أنهم اعتمدوا فقط على ما يدور فى المجتمعات الغربية متجاهلين الحضارات الأخرى، وأنه ليس من اختصاص اللجنة التى أعدته أن تقرر سمو حضارة بالنسبة للحضارات الأخرى.

أو أن تقيم نظاماً موحداً، بالنسبة لكل دول العالم [3]،.

ومن ثم نجدها فى هذا القرار: أنه قد اتخذته وسيلة للنقد والهجوم، على الدين الإسلامى كدين فى فكرهم العلمانى، أنه يقمع الحريات.

ولذلك تبين تناقض ما يزعمونه، ويتغنون به فى الغرب، أن ميثاق لائحة الأمم، قواعده الأساسية رفض العنصرية والحزبية، وإن فى هذه المادة غير قراراتهم الأخرى، هى ذات العنصرية، فكان من الواجب عليهم، لو صدقت نواياهم فى المساواة، والعدل بين الشعوب، احترام أصول الحضارة فى العالم الإسلامى .

<u>الوقفة التعجبية الثانية (حق الفيتو)</u>

إن المقصود بحق الفيتو : هو امتياز لخمسة من الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة، الذين هم من الولايات المتحدة الأمريكية، وانجلترا، وفرنسا، والاتحاد السوفيتى سابقاً وروسيا حالياً، والصين.

فإن لهم حق النقد لأى قرار، يعرض على المجلس. [4]

وبموجب هذا الفيتو:

أصبح من حق أى دولة من دول أعضاء الفيتو : أن تجهض أى قرار.

تتخذه المنظمة الدولية، أيا كان هذا القرار.

وكذلك أن تقرر أمراً، تزعم بصلاحيته، فى حقوق الإنسان.وبموجب طغيان هذا الحق جاء فى المادة (103) ما نصه:

"أنه إذا تعارضت الالتزامات، التى يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة وفقاً لأحكام هذا الميثاق، ومع أى التزام دولى يرتبطون به، فى العبرة " إلتزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق"[5].

ويعنى ذلك خطورة أمر أى دولة، تعترض على قرار يخصها ؛ لأنه لا يحق لأى دولة الاعتراض على مادة من مواد الميثاق، فإن ذلك اختراقاً للميثاق، ولقانون الدولة، بل وخروجاً عن الشرعية الدولية.

ومن ثم خرج العالم العربى والإسلامى، من استعمار أصغر كان فى الماضى، إلى استعمار أظلم وأكبر، وهو استعمار الشئون الداخلية، وسجنها فى سجن الفيتو، وما يقرره أعضاءه.

ولذلك فهو على الأكثر لا يعبر، إلاَّ التحكم والهيمنة على العالم. بحجة حقوق الإنسان.

---

[1]() تابع المرجع: ص35، وما بعدها (بتصرف)

[2]() تابع الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان : د/ وائل أحمد علام: ص :27 (بتصرف) ط: الأنجلو.

[4]() تابع تفصيل ذلك فى (مصطلحات الشريعة والقانون): أ.د عبد الواحد ص:171(بتصرف) : ط دار الفكر .

([5]) تابع : حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون: د/ منير حميد البياتى: ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (قطر) (الأولى) 1423هـ 2005م ص37 (بتصرف).

ومن المؤسف إن ضعف العالم العربي، والإسلامي، جعل من أمريكا قوة فى الظلم، فقد سيطرت على العالم بقوانين تعجيرية لتحقيق أطماعها، وسيطرتها الاستعمارية.

ومن الجدير بالذكر: لقد تعرضت هذه اللوائح الظالمة، للنقد الشديد من كثير من المفكرين العقلاء فى العالم الغربى، أذكر منهم على سبيل المثال :

(آرنولد توينبى)[1]، صاحب : (مختصر تأريخ الحضارة)، وهو الذى وصف ميثاق الأمم المتحدة بالسخيف، لتضمنه حق الفيتو للدول الكبرى، الذى يمكن بموجبه إجهاض أى قرار لنصرة المظلوم. [2]

وعلى الرغم من إيجاز ما ذكرته، من وقفات أردت أن يتضح، من واقع مرير يعيشه الإنسان فى العصر الحاضر.

لكن مع ذلك لا أنكر صدق البعض من العقلاء، فى العالم لتحقيق السلام والعدل والمساواة بين الناس، وإن كانوا فى ظل ما نعيشه قد خيم الظلم على كل شئ، فعندما يسيل الدماء فى البلاد العربية الإسلامية وتشتعل الحروب، واستنزاف دماء الشعوب.

فأى دور إذن من حقوق الإنسان، سواء بين المسلمين الذين بعدوا عن أصول دينهم؟!!

أو فى الميثاق الدولى بين الشعوب الذى يزعم بالتحضر والرقى؟!!

ومن المحزن: آخر ما شهدناه فى سوريا من حرب وصراع وتفرق، وهي دولة عربية إسلامية، كما يدور على أرضها حرب بين دولتين كبيرتين روسيا وأمريكا، ولا يموت إلاَّ الإنسان المقهور بظلم الدول الكبرى، وكل ذلك فى ظل ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان؟!!

وإن هذا الواقع المرير، حدث بالفعل عند إعتداء أمريكا على العراق عام 2003م، حيث هاجمت القوات الأمريكية العراق بحجج واهية أمام العالم، وفى حقيقة أمرها كانت تريد القضاء على قوة العراق والسيطرة على خيراتها، وزعزعة وحدة الشعب العراقى، ولم يكن فى حسابها أبداً ميثاق الحقوق الإنسانية بل الأمر أخطر من ذلك، وهو مئات الألوف من القتلى، الذين لا ذنب لهم، ذلك على مدار أكثر من سبع سنوات .

ولم يستطع ميثاق الأمم المتحدة، أن يتخذ أى قرار، حتى بالمنع من سفك الدماء، ولا من انهيار دولة، أمام عدوان لم يتغير عن القرون الوسطى، التى كانت فى الغرب.

ومن المؤسف إن دولة العراق، تعانى من قضايا كبرى، من أثر هذا العدوان منها ومازرعه العدوان الأمريكى من الصراع الطائفى الدامى، بين هذا الشعب العريق، وهى التى كانت دولته من أعظم حضارات العالم.

انظر معى أيها الإنسان فى مشارق الأرض ومغاربها، أهذا الميثاق هو من حقوق الإنسان، التى تلاعبت به أمريكا؟!!!

ولا هو من من ظلمات أحاطت بالعالم كله؟!!

وعلى وجه الخصوص ما يحدث فى مختلف البلاد العربية كاليمن، وسوريا، والسودان، ومصر التى تواجه تيارات عدائية مختلفة،

ومن الأدهى والأمر من حق (الفيتو) أن حفظ السلم والأمن الدولى هو: أوليات الحقوق للعالم الغربى؛ ومن ثم إذا تعارض تطبيقها للعدالة مع هذا الحق، الطبيعى فى ميثاقها تطبيق هذا الأصل مهما حدث من ظلم للعالم الثالث النامى فى زعمهم، فالعدل ليس فى ذاته غاية، تقصد تحقيقه، وعلى ذلك فإن مبدأ المساواة، فى حقيقته هو: مساواة على حسب أصناف الشعوب، وأصولها الغربية القريبة من هذه الأمم، من حيث الدول الكبرى.

<u>العنصرية البحته فى حق الفيتو:</u>

إن القصد من (الفيتو) هو ليس بشىء إلاَّ العنصرية على الرغم أن نشأة الأم المتحدة بسبب تلك العنصرية!!

ومن الأدهى والأمر المؤسف :

---

[1]() آرنولد جوزيف توينبى (1889- 1975م) مؤرخ وفيلسوف بريطانى وضع نظرية (التحدى والاستجابة) تابع معجم أعلام المورد – منير البعلبكى ص147.

[2]() تابع مختصر تأريخ الحضارة: آرنولد توينبى: ط196/4: ط الإدارة الثقافية بالجامعة العربية (الثانية).

أن تعديله من الأمور المستحيلة، وقد تبين ذلك عندما اعترض عليه الكثير من المفكرين المنصفين فى العالم، فطالبوا بإصلاحه، ووجدوا أن فيه من التعجيز الذى دبرته واصطنعته مصالح الدول الكبرى.

ولذلك لا يستطيعوا التعديلات اللازمة، إلاَّ إذا وافقت عليها الجمعية العامة، بأغلبية ثلثى الأصوات، وقام بالتصديق عليها ثلثا أعضاء الأمم المتحدة، بما فيهم جميع الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن[1] .

وبالتالى لا تعديل إلاَّ بموافقة الدول الكبرى.

أفبهذا لا يوصف إلاَّ بأشد وصف للعنصرية البحته!

الوقفة التعجبية الثالثة:

إن مفهوم ميثاق الأمم المتحدة للحرية كما سبق هو نفس مفهومها للعدل؛ ومن ثم فإن قراراته من التناقض والتضارب، قد بلغوا الدرجات القصوى من الظلم يوضح ذلك التالى:

جاء فى المادة (18) من الإعلان:

" أن لكل شخص حق حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حريته فى تغير دينه أو معتقده، وحريته فى إظهار دينه، أو معتقده بالتعبد، أو إقامة الشعائر والممارسة، والتعليم بفرده، أو مع جماعة، وأما الملأ أو حدة " [2].

وهذا يخالفما اتفق عليه جمهور العلماء المسلمين، فى حريته فى حكم المرتد من الإسلام، وله تفصيله الشرعى؛ ومن ثم لا يجب أن يفرض هذا الميثاق على المسلمين، مما يخالف تعليم دينهم الحنيف.

وعلى الجانب الآخر من التناقض البيِّن فى هذا الميثاق : حيث نصت المادة (29) من الإعلان على القيود المفروضة على الفرد، فى ممارسة حقوقه وحرياته، ومنها حرية العقيدة أذكر من نصها:

1- لا يخضع أى فرد فى ممارسة حقوقه وحرياته، إلاَّ للقيود التى قررها القانون مستهدفاً منها ضمان الاعتراف الواجب بحقوق، وحريات الآخرين واحترامها... ورفاهية الجميع فى مجتمع ديمقراطى.

2- لا يجوز فى أى حال أن تمارس هذه الحقوق، على نحو يناقض مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها.

وهنا مكمن الخطر والتناقض البيِّن، وهو الذى أدى بدوره لانتشار الإلحاد، وفساد السلوك والأخلاق فى العالم.

أولاً: شددت على حرية العقيدة، وعلى وجه الخصوص حرية المرتد عن الدين.

ثانياً: شددت على واجبات الفرد نحو الآخرين، ومراعاة نظام الدولة.

ثالثاً: وهو مكمن العنصرية، والفكر الاستعماري عندما حظرت أن يمارس الحقوق التى تتناقض مع مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها، التى نص عليها الميثاق، حتى ولو كانت طبعاً تعترض مع الأصول الإسلامية.

رابعا: من التناقض البيِّن أنها أطلقت حرية الفكر، والارتداد عن الدين، وعلى الجانب الآخر قيدت حرية الفرد فى إقامة الشعائر الدينية، إلاَّ على حسب الميثاق؟!!

الوقفة التعجبية الرابعة:

من أغرب قرارات الأمم المتحدة فى ميثاقها، المتفق عليه من الدول الكبرى.

حيث وضعوا ميثاق تعجيزى لحلَّ القضايا الكبرى بين الدول، ذلك فى النظام السياسي لمحكمة العدل الدولية، وهى الأصل القضائى للمنظمة الدولية.

ففى المادة (36) منها " فإن لهذه المحكمة أن لا تتدخل للقضاء فى قضية، ما إلاَّ إذا رضى الطرفان، الظالم والمظلوم بالاحتكام إليها، وإلاَّ فلا يحق لها أن لا تتدخل للفصل بينهما".

كيف يحققون العدل بين الدول؟ وهم يخيرون الظالم!! فالظالم، المعتدى الجائر له حرية الاختيار فى ميثاق الأمم المتحدة لامتثاله أمامها، وقبوله لحكمها!!

إذن فالسؤال فما هو عملها تجاه الدول الظالمة لحقوق الإنسانية ؟!!

---

[1] () تابع الإعلان العالمى لحقوق الإنسان : د/ محمود شريف بسيونى: مرجع سابق: المجلد الأول: ص 27 (بتصرف).

[2] تابع نص المادة (36) من النظام الأساسى لمحكمة العدل الدولية الأمم المتحدة: 51.

الفصل الثانى
وقفات من سيرة الإمام على زين العابدين

في الواقع أن أي شرح، من بعض ما ورد من سيرة الإمام على زين العابدين، لا يفي بتصوير دقه سيرته العطرة ولذلك نلقى فقط الضوء على بعض من قيمة وأخلاقه، يوضح ذلك التالي:

أولا: اسمه ونسبه ومولده :

1- ولد τ يوم الخميس، خامس من شعبان، سنة ثمان وثلاثين، وقيل قبل ذلك بسنة، أو سنتين في كنف جده على بن أبي طالب، قبل وفاته بسنتين، ثم نشأ في مدرسة عمه الحسن، وأبيه الحسين فتربى على علوم النبوة .

2- قال صاحب الإرشاد : أولاد "الحسين بن على": ستة، هو من بينهم " على بن الحسين" الأصغر كنيته (أبو محمد)، ولقبه " زين العابدين " وأمه " شاه زنان بنت كسرى أنو شروان " ملك الفرس، أما "على بن الحسين" الأكبر قتل مع أبيه في يوم كربلاء.

3- وكان يقال لزين العابدين **"ابن الخيرتين"**؛ لأنه قرشي الأب وفارسي الأم، نشأ زين العابدين متشبعًا بروحانية جدة ρ وبتقوى أبيه τ، وسبحو نفسية والدته سليلة الملوك، التي أحسنت إسلامها وبسمو وصفّت روحها بأنوار آل بيت رسول الله ρ. فنشأ τ في وسط إيمان كامل، ونشأ على فطرة سامية موروثة، وتتبع آثار جده، وحذا حذو أبيه τ .

4- لقد اتخذ τ من رسول الله ρ المثل الأعلى في الصبر، فيما تعرض له من بلاء، من عدم التخلي من إرادة الحق مهما حدث له من عداء، فقد ازداد τ قوة وثباتا على الحق، وحب الشهادة في سبيل الله تعالى .

فقد تحلّى τ بالصبر الجميل، فيما رآه من الحوادث الجثام في كربلاء وغيرها، فظل τ هادئ النفس، فقد جاء عنه من خشوعه في وضوئه وصلاته، ونسكه ما يدهش السامع، فكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة حتى مات، وكان شديد الخوف من الله تعالى، بحيث إذا توضأ أصفر لونه وارتعد فيقال له : " ما هذا ؟ [1].

فيقول : " أتدرون من أقوم ! "

([1])رواه الترمذي وأبو داود والنسائي (جزء من حديث)

وهذا ليس بغريب، وجده " على بن أبي طالب " أول من أسلم من الصبيان، وأبوه الإمام الحسين سيد شباب الجنة والشهداء، وهو الذي قال عنه ρ كما رواه الترمذي، وأبو داود والنسائي: **(حسين منى وأنا من حسين)** [1]ψ .

5- تزوج τ من السيدة فاطمة رضى الله عنهما، بنت الإمام الحسن بن على ابن أبي طالب فولدت محمدًا الملقب " بالباقر"، و"عبد الله"، وقيل رضى الله عنهما، وقيل ؟ أن أولاده τ جميعا خمسة عشر ما بين ذكر وأنثى حيث تزوج أيضًا " بأم ولد " رضى الله عنهما، كما ورد في نور الأبصار.

ثانيًا : قبسات من مواقفه ومكانته :

ومن المواقف التي توضح مكانة إمامنا في عصره، وشهرته، كما نقل من سيرته العطرة :

1- لقد عاصر τ من ملوك بنى أمية، " مروان، وعبد الملك، والوليد "، روى أن " هشام بن عبد الملك بن مروان " حج في حياة أبيه، وحكمهم للبلاد، وسلطانهم، وعلى رغم من ذلك أراد أن يطوف بالبيت، وجهد أن يستلم الحجر الأسود، فلم يستطع بمكانته وسلطانه، فنصب له منبرًا إلى جانب زمزم في " الحطيم "، وجلس عليه، ينظر إليه الناس، وحوله جماعة من أهل الشام.وبينما هو كذلك أقبل " زين العابدين " τ يريد الطواف، فلما انتهى إلى الحجر الأسود، تنحى له الناس، واتسع له الطواف.

فقالوا لهشام : من هذا الذى قد هابه الناس هذه المهابة فتنحوا يمينًا وشمالاً ؟!

فقال " هشام " لا أعرف ! مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان " الفرزدق " حاضرًا، فقال للشامي: أنا أعرفه.فقال من هو يا أبا فراس ؟ فقال بشعره ويصفه الأدبي البليغ ؟ أذكر من قوله :

هذا الذي تعرِفُ البطحاءُ وطأته والبيتُ يعرِفُهُ والحِلُّ والحرم
هذا ابنُ خير عباد الله كلِّهِمُ هذا التقى النقىَ الطاهرُ العلمُ
هذا ابنُ فاطمة إن كنت جَاهِلَهُ بجده أنبياءُ الله قد ختموا
وليس قولُكَ : من هذا ؟ يضَائره العُربُ تعرِف من أنكرتَ والعجم

فلما سمع " هشام بن عبد الملك " هذه القصيدة، لم يستطع تحمل ما سمعه، وخاصة أن هذه القصيدة، اشتهرت بين الناس، تعبر عن واقع حقيقة مكانه إمامنا، وآل بيت المصطفى τ، ولذلك سجنٌ الفرزدق" .

ولمَّا بلغ زين العابدين ما حدث له بسببه، بعث إليه بأربع آلاف درهم، فردها وكتب إليه، أنى مدحتك بما أنت أهله، على رغم من حاجته لها، فكتب إليه يأخذها ؛ لأن أهل البيت إذا وهبوا لا يستعيدوه، فقبلها منه لاحترامه وتقديره [2].

2-من الجدير بالذكر أن سيدنا " على زين العابدين " كانت له شهرة واسعة ومكانة بين آل بيت الرسول ρ، فضلاً عن الناس، فإنه τ كان يتصف بصفات أخلاقية نادرة، وإرادة وقدرة في العبادة والعمل في سبيل الله تعالى، بصدق وإخلاص أدهش كل من شاهده فى ذكره وعبادته؛ وهذا يرجع فضلا عن صلته برسول الله ρ، وامتثاله بأفعاله، أنه شاهد أشد أنواع البلاء، الذي تعرض له والده الإمام الحسين τ وآل بيته، وهذا ما جعله τ شديد الزهد والفناء لله تعالى، كما أنه كان واسع الحلم والعفو فمن سجاياه العالية الرفيعة، وأقواله الحكيمة:-

أ- كان شديد الحلم، وواسع العفو والكرم :

فإذا سبه أو انتقصه أحدا يقول : " اللهم إن كان صادقًا فاغفر لي، وإن كان كاذبًا فاغفر له ".

ب- كان شديد الأدب والبر بوالديه :

([1])تابع (بتصرف) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار " الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن انشبلنجى الحلبى " ط- 1367هـ - 1948م : ص 153.

([2]) تابع التالي :

- حلية الأولياء : جـ3 : ص 139 (بتصرف)
- نور الابصار : ص 248،247(بتصرف)
- مقدمة الصحيفة السجادية الكاملة " ط دار القارئ 1433 – 2012م ص 7 : 13 بتصرف
- إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين / على هامش كتاب نور الأبصار " للشيخ محمد بن على الصبان : ص 236، 237(بتصرف).

لذلك قيل له : إنك أبر الناس بأمك، ولسنا نراك تأكل معها في صفحة واحدة ؟! فقال : "أخاف أن تسبق يدى ما تسبق عينها، فأكون قد عققتها.

جـ - في عهده تخلق الناس بصدقات السر :

لقد كان إيمانه τ في أعلى درجات لليقين، فقد كانت رؤيته بعين قلبه، وبصيرته الإيمانية ولذلك قال τ: "صدقة الليل تطفئ غضب الرب، وتنور القلب والقبر وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة".

ومن ثم فقد روى عنه τ أنه كان يحمل على ظهره، في الليل جراب الخبز ليتصدق به τ، وكان في عطائه لا يفرق بين الناس، ويعد وفاته روى أهل المدينة يقولون : "ما فقدنا صدقة السر إلاَّ بعد موت على بن الحسين τ، هذا إلى جانب أن من هؤلاء الناس يعيشون، ولا يدرون من أين معاشهم ومأكلهم فلما مات τ فقدوا ما كان يأتي ليلاً إلى منازلهم".

د- تخلقه الشديد بالصدق وحبه لأهل الصدق :

هذا لأن الصدق هو الأساس في العمل الإسلامي، وهو يشمل من الإنسان السر والعلن، والقلب والجوارح ؛ ولذلك كان من نهيه τ: " إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب إليك البعيد ويبعد لك القريب ".

وقال : " وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بائعك بأكلة، أو أقل من ذلك، وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك "[1] وهذا لأنه لم يكتسب العلوم الإسلامية، التي تفهمه ما يفعل.

ثالثًا : قبسات من سيرته العطرة في شهرته بزين العابدين :

عاش الإمام الورع مقام الفناء في العبادة (كما سبق)، إلى درجة أنه قد أدهش أبناء عصره فاشتهر بينهم (بزين العابدين) " وقدوة السالكين "،" وأسوة العابدين "، و" سيد العابدين "، " ذو النفقات" .. وألقاب كثيرة .

فلم يركن أبدًا لأصوله وصلته بآل بيت الحبيب المصطفى ρ بل بذل كل الجهد لديه في العبادة واكتسابه للعلوم بإخلاص لله تعالى؛ **ومن ثم قال τ يدعو الله تعالى** : "اللهم إنى اعوذ بك أن تحسن في لوائح العيون علانيتى، وتقبح في خفيات العيون سريرتى، اللهم كما أسأت وأحسنت إلىّ، فإذا عدت فعد على".

وكان τ إذا توضأ للصلاة يصفر لونه، فقيل له: "ما هذا الذى نراه يعتريك عند الوضوء". فيقول: "أما تدرون من أريد أن أقف بين يديه". **ولذلك قال:** " إن قومًا عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقومًا عبدوا الله شكرًا فتلك عبادة الأحرار" .

ومن ثم من سيرته العطرة، قال طاووس : "رأيت رجلاً يصلى في المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكى في دعائه، فجئته حين فرغ من الصلاة، فإذا هو "على بن الحسين" τ فقلت:

"يا ابن رسول الله رأيتك على حالة كذا، ولك ثلاثة أن تؤمنك من الخوف:

أحدها : أنك ابن رسول الله ρ.

والثانى: شفاعة جدك .

والثالث: رحمة الله تعالى.

فقال يا طاووس ... أما أنى ابن رسول الله ρ، فلا يؤمنى، وقد سمعت الله تعالى، ويقول: **[فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ]** [2].

وأما شفاعة جدى: فلا تؤمنى؛ لأن الله تعالى يقول: **[وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ]**[3].

وأما رحمة الله تعالى، فإن الله تعالى يقول: **[إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ]** [4].

ولا أعلم أنى محسن .....[1] !!"

([1]) تابع نور الأبصار: ص 154 (بتصرف).

([2]) المؤمنون : أية 101 .

([3]) الأنبياء : أية 28 .

([4]) الأعراف : 56.

ما أعظمك، وأجلك يا زين العابدين؛ ولذلك روى عنه أنه كان لا يترك قيام الليل لاسفرًا، ولا حضرًا، حتى أنه بلغ في صلاته في اليوم والليلة ألف ركعة ؛ ولذلك وصفة أبو نعيم في الحلية : "على ابن الحسين بن أبي طالب τ زين العابدين، ومنار القانتين، كان عابدًا وفيًا وجودًا حفيًا" .

فلما حج بيت الحرام، أراد أن يلبي فارتعد، وقال: "أخشى أن أقول: لبيك اللهم لبيك، فيقال لى: لا لبيك"، فشجعوه على التلبية، فلما لبّى غشى عليه، حتى سقط عن الراحلة.

وهذه علامة من شدة ورعه وفقره لله تعالى .

ومن ثم الجدير بالذكر، من الصعب جدا مجرد التصور لكيفية عبادته τ، فكيف وسعت قدرته كل هذا القدر من الكم والكيف النادر، رؤيته في بشر، لم يكلف بنبوة أو رسالة ψ آل بيته وصحابته ولذلك روى عنه أدعية في كل الأحوال، والأوقات، من الحمد، والثناء لله تعالى والصلاة على جدة الحبيب المصطفى ρ .

وأدعية في الإستعاذة بالله تعالى، والإشتياق سبحانه وتعالى، وأدعية في خواتم الخير، ومحاسبة النفس، وفي طلب الحاجات والآداب في الطلب، وعند المرض، وعند الشدة وفى صلاة الليل وفى الاستخارة، وعند سماع الرعد، وأدعية للشكر، وطلب العفو، والستر، وإذا نظر إلى الهلال ... سبحان الله تعالى أن ألهم لزين العابدين في كل لحظة، من لحظات وحالة من حالاته دعاء.

بجانب أن له من المناجاة: مناجاة التائبين، والشاكرين والخائفين، والراجين، والراغبين، والمريدين والمحبين ...

في الواقع أن ما ورد عن الإمام من أدعية، ومناجاة لله تعالى تحتاج إلى أبحاث، فضلا عن شرحها تحتاج إلى مئات الصفحات .

فلا عزابه أن نجد من تراث إمامنا العلمى، الذى هو من أصول الحضارة الإسلامية العظيمة "رسالة الحقوق " كما سيأتى .

فعلى سبيل المثال أذكر من أدعيته :

دعاؤه τ في اللجأ إلى الله تعالى : " اللهم إن تشأ تعف عنا، فبفضلك، وإن تشأ تعذبنا فيعدلك فسهل لنا عفوك يَمنِّك، وأجرنا من عذابك بتجاوزك، فإنه لا طاقة لنا بعد لك، ولا نجاة لأحد منا دون عفوك ...."

ودعاؤه τ في الثناء لله تعالى والحمد : " الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذى قصرت عن رؤيته أبصارُ الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين، ابتدع بقدرته الخلق ابتداعًا ... " [2].

ومن مناجاته اذكر أيضا (الراجين):

" يا من إذا سألهُ عبد أعطاه، وإذا أمّل ما عنده بلَّغَهُ مناه، وإذا أقبل عليه قربهُ وأدناه.

وإذا جاهره بالعصيان ستر عليه دنبه وعطاه، وإذا توكل عليه أحسبَهُ وكفاه .....

أسألك بكرمك أن تمن على عطائك بما تقر به عينى، ومن رجائك بما تطمئن به نفسى، ومن اليقين بما تُهون به على مصيبات الدنيا وتجلوا به عن بصيرتى غشاوات العمى، برحمتك يا أرحم الراحمين " [3].

ومن مناجاته أيضًا الراغبين :

" الهى إن كان قل زادى في المسير إليك فلقد حسن ظنى بالتوكل عليك، وإن كان جرمى قد أخافنى من عقوبتك فإن رجائى قد أشعرنى بالأمن من نقمتك، وإن كان ذنبي قد عرضتى لعقابك، فقد آذنى حسن ثقتى بثوابك ....

إلهى استشفعتُ بك إليك واستجرتُ بك منك أتيتك طامعًا في إحسانك راغبًا في امتنانك مستسقيًا وابل طولك مستمطرًا غمام فضلك، طالبًا مرضاتك، قاصدًا جنابك، واردًا شريعة رفدك ملتمسًا سنِىّ الخيرات، من عندك وافدًا إلى حضرة جمالك، مريدًا وجهك طارقًا بابك، ومستكينًا لعظمتك وجلالك،

([1]) تابع طبقات الإمام الشعرانى نقلاً بتصرف من " أهل البيت حقائق وأعلام " : أ0د أحمد محمود كريمة : ط جزيرة الورد : ص 181.
وتابع نور الأبصار : ص 154- 155 (بتصرف).

([2]) تابع الصحيفة السجادية : ص 29، 33 .

([3]) المرجع : ص 208، 209 .

فافعل بى ما أنت أهله من المغفرة، والرحمة ولا تفعل بى ما أنا أهله من العذاب والنقمة، برحمتك يا أرحم الراحمين" [1].

عن على بن ابى طالب τ كان إذا أهمه أمر يرفع يديه إلى السماء يقول : " يا كهيعص أعوذ بك من الذنوب التي تزيل بها النعم، وأعوذ بك من الذنوب التي تحل النقم، وأعوذ بك من الذنوب التي تثير بها الأعداء، وأعوذ بك من الذنوب التي بها تحبس غيث السماء " وهو دعاء مجرب عند الكرب، انتهى من قرة العين في مقتل الحسين [2].

رابعًا : قبسات من علمه ومعرفته بربه :

إن التقوى لله تعالى الصحيحة، والقرب من الله تعالى بما يحبه ويرضاه هما باب العلم .

في الواقع لا فرق بين العالم والعابد، فالعلم لله تعالى هو باب خشية ومعرفة الله تعالى والإخلاص والصدق في العبادة هو باب العلم والمعرفة بالله تعالى ؛ لقوله تعالى: **[إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء]**[3].

فحقيقة العلم، بمفهومه الصحيح هو الذى يصاحبه الخشية الله تعالى؛ ولذلك إذا عرفنا من سيرة إمامنا العطرة أنه كان زينة العابدين، من البديهى أن تعلم أنه جمع عقله وقلبه لأنوار العلوم، مما توارثه من رسول الله ρ، وآل بيته، ومن اكتساب هو للعلم واجتهاده فيه، والعمل به.

فروى عنه τ أنه منذ صباه أقبل على طلب العلم، مما ادركهم من الصحابة، وتابعيهم رضوان الله تعالى عنهم، فحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حتى شهد له أبناء عصره، كما نقل إلينا.

روى τ الحديث عن أبيه، وعمه الحسن بن على، وجابر بن عباس، والمسور بن مخرمة، وأبي هريرة، وصفية، وعائشة، وأم سلمة أمهات المؤمنين τ .

وروى عنه جماعة، منهم بنوه : زيد، وعبدالله، وعمر، وأبو جعفر محمد بن على الباقر، وزيد ابن أسلم، وطاووس وهو من أقرانه والزهرى، ويحيى بن سعد الأنصارى، وأبو سلمة، وخلق كثيرً

ولذلك قال ابن سعد في الطبقات، وغيره: " أنه كان ثقة مأمونًا كثير الحديث، عاليًا، رفيعًا، ورعًا".

لقد مكث τ في دراسة الحديث، وحمل أمانه روايته، فمن مروياته، ما رواه الأوزاعى الزهرى: أخبرنى على بن الحسين أن عبدالله ابن عباس، حدثه : أخبرنى رجال من أصحاب رسول الله ρ من الأنصار، قادرة بينما هم جلوس ليلة مع النبي ρ: إذا رمى بنجم فاستنار، فقال رسول الله ρ: **(ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمى بمثل هذا ؟)**

الله ورسوله أعلم، كما نقول : ولد الليلة رجل عظيم، ومات الليلة رجل عظيم .

فقال رسول الله ρ: **(فإنها لا يرمى بها لموت أحد، ولا لحياته، ولكن ربنا إذا قضى أمرًا سبحانه حملة العرش ثم سبحته أهل السماء الذين يلونهم ثم سبحته أهل السماء الذى يلونه حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا، ثم يقولون الذين يلوون حملة العرش لحملة العرش .... ماذا قال ربكم ؟ فيجيبونهم فيسخبر أهل السماوات بعضهم بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيلقونه إلى أوليائهم... فما جاءوا به على وجهه، فهو صحيح، ولكنهم يفرقون فيه، ويزيدون فترمى الشياطين بالنجوم)**[4].

إن حياة إمامنا كانت لله تعالى؛ ومن ثم كانت أنفاسه ذكرًا وعلمًا وفقهًا، سواء كان ذلك في خلوته أو مع الناس.

روى أبو نعيم في الحلية في سننه، عن سفيان بن عيينه عن الزهرى قال: دخل على بن الحسين بن على τ، فقال : يازهرى فيم كنتم ؟

([1]) المرجع : ص 209، 211.
([2]) تابع نور الأبصار : ص 154.
([3]) فاطر : آيه 28.
([4]) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه .

قلت تذاكرنا الصوم، وأجمع رأيى ورأى أصحابي : على أنه ليس من الصوم شيء واجب، إلاَّ شهر رمضان.

فقال: يا زهرى ليس كما قلتم. الصوم على أربعين وجهًا، عشرة منها واجبة، كوجوب شهر رمضان، وعشرة منها حرام، وأربعة عشر خصلة صاحبها بالخيار، إن شاء صام، وإن شاء أفطر وصوم النذر واجب، وصوم الاعتكاف.قال : قلت فسرهن يا ابن رسول الله .

قال : أما الواجب فصوم شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين يعنى في قتل الخطأ، لمن لم يجد العتق، وفي الظهار، وفي الجماع عمدًا في نهار رمضان، قال تعالى : **[وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً]**(1).

وصيام ثلاثة أيام في كفارة اليمين، لمن لم يجد الإطعام، قال الله تعالى: **[ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ]**(2).

وصيام حلق الرأس، يعنى وهو محرم، قال الله تعالى: **[فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ]**(3) .... إلى آخر ما ذكر ووضحه (4).

<u>من الجدير بالذكر في علمه وتقواه لله تعالى</u>

ذكر صاحب " نور الأبصار " في " لطيفة" من سيرته العطرة : وفد على "على بن الحسن" نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان، فلما فرغوا من كلامهم، قال لهم :

ألا تخبرونى من أنتم ؟!! أنتم **[الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ]**(5)؟!

قالوا : لا.

قال : فأنتم **[وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ]** (6).

قالوا : لا .

فقال : أما أنتم والذين قد تبرأتم أن تكونوا، من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى فهيم **وعن مسعود بن مالك، قال لى "على بن الحسين" ما فعل سعيد بن حبير ؟**

[وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا] (7) أخرجوا عنى (8).

وعن مسعود بن مالك، قال: قال لى "على بن الحسين": ما فعل سعيد بن حبير؟

قال: قلت صالح.

قال: ذاك رجل كان يمر بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بنا، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء، وأشار بيده إلى العراق(9) !!.

<u>ومما سبق لنا وقفات :</u>

أولاً: إنه τ قد وضح بسؤاله الاستنكارى لهم (من أنتم ؟!) أي كيف تتطاولون على صحابة رسول الله ρ، وهم الذين أثنى عليهم الله تعالى، وجعل ذكرهم قرآنا يتلى، فقد أراد منهم أن يحاسبوا أنفسهم ليعرفوا حقيقة ما هم عليه من سوء، وظلم، وجهل.

قال الله تعالى : **[مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ]**(10).

---

(1) النساء : أية 92.
(2) المائدة : آية 89 .
(3) البقرة أية : 196.
(4) تابع أهل البيت حقائق وأعلام : ص 197 : 199 (بتصرف).
(5) الحشر : آيه 8.
(6) الحشر : آية 9.
(7) الحشر : آية 10.
(8) تابع نور الأبصار : ص 155 .
(9) تابع أهل البيت حقائق وأعلام: ص 197.
(10) الفتح: آية 29 .

ثانيًا : مما سبق يتبين خلاف ما ذهب إليه الغلاة من الشيعة الذين وصل الحد بهم إلى الطعن في صحابة رسول الله ρ، بل وسبهم رضوان الله تعالى عليهم، والشك في إيمانهم، بحجتهم وادعاءهم الكاذب حبهم لآل بيت المصطفى ρ.

ثالثًا : كذلك تبين الرواية الأولى عن سيدى زين العابدين: أنه رضى الله تعالى عنه رد على هذا الوفد الذى يريد اشعال نار الفتنة والحرب بين المسلمين باستفهام إنكارى بليغ، لقد حملت عبارته سيوفا من الكلام، مع آيات قرأنية أفحمت، وأخرست دعاة الفتنة.

رابعًا : وقد أشار τ في الرواية الثانية، بيده إلى العراق، وكان يريد هدم ظاهرة الغلو في مبالغة وعصمة آل بيت الرسول ρ، فأراد أن يبين خطأ زعمهم بأن أهل بيت رسول الله ρعندهم علم الأولين والآخرين ؛ لأن العلم يدرك بالتعلم، وهم ككل الناس يكتسبوا العلم من التعلم من العلماء، ومن أصوله في الكتاب والسنة، إذا لا يتلقى من الوحى إلاَّ رسول الله ρلأنه معصوم من الخطأ، والرسل قبله والأنبياء.

أما آل بيت الرسول كباقى البشر، لا يملك رسول الله ρ لهم شيئًا.

وكذلك من الجدير بالذكر ما سبق في حياة إمامنا، وسيرته العطرة وجهاده وعبادته تدل على ذلك، فهو τ لم ينظر قط واعتمد في عمل أنه من رسول الله ρ بل على النقيص نجد أنه قد أدهش من حوله من شدة خوفة ورجائه لله تعالى كما سبق.

خامسًا : ولذلك قال إمامنا عظيم العلم والعمل، والتواضع "لا حسب لقرشى، ولا لعربي إلاَّ بتواضع ولا كرم إلاَّ بتقوى، ولا عمل إلاَّ بنية، ولا عبادة إلاَّ بالتفقة" [1].

وهكذا أيضًا أن هذا القول يوضح وضوحًا بطلان ما نسب إلى آل بيت الرسول ρ، حرصهم وخلافهم حول إمامه المسلمين، إلاَّ لله تعالى وفى الله تعالى، فإنهم ρ لم ينظروا إلى نسبهم، وصلتهم بخير خلق الله تعالى محمد ρ وإنما كانوا في غاية التواضع، والزهد، وتقوى الله تعالى، وخوفهم ورجاءهم الله تعالى.

ولذلك كانوا يحرصون على اكتساب العلوم، وعلى التفقه في الدين، وعلى الصدق في كل عمل يعملونه لله تعالى.

وهكذا τ انتفع بعلومة أبناء عصره، فمنهم من تتلمذ على يديه، ومنهم من سيرته العطرة التى انتشرت في البلدان، ولذلك أطلقوا عليه " سيد الناس "، وأفضلهم علمًا وخلقًا وعبادةً .

<u>وقفة جديرة بالذكر في علم زين العابدين:</u>

من الجدير بالذكر: أن الإمام "على زين العابدين" قد حاباه الله تعالى بعلم وفراسة سبقت علماء عصره، فقد اتضح كما سبق أنه كان يحفظ وجوه الصوم، وحكمه، ودليله ... وليس له هذا العلم فقط بل كان τ حكيمًا في علوم جمة ؛ ومن ثم إذا تكلم نطق ببلاغه وحكمة، بمعان عميقه، لا تسعها العبارات شرحًا لها .

ومن ثم نجد من حكمه قوله :

1- "عجبت للمتكبر الفخور الذى كان بالأمس نطفة ؛ وغدًا جيفة وعجبت كل العجب لمن شك في الله، وهو يرى خلقه، ولمن أنكر النشأة الآخرة، وهو يرى الأولى، ولمن عمل لدار الفناء، وترك دار البقاء" [2].

بتدبر هذا القول الحكيم، الذى هو في ثلاث سطور تقريبًا، عندما نحلله نستخرج منه علومًا تتصل بعقيدة المسلم، التي تجب عليه الوجوب العينى، ومن البلاغة لديه أنه ذكر تلك العلوم ببداهة عقلية وبالضرورة الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، بحيث لا يشك فيها شاك، من الفرق الضالة، إلاَّ جاحدًا لها.

أذكر من هذه العلوم:

أولاً: ذكر إمامنا أصل الإنسان كنطفة ... ثم مراحل تكوينه في بطن الأم، وهذه من العلوم البديهية، بأن الإنسان لا يملك من أمر نفسه شيء في بدايته ونهايته ؛ وهذا لأنه مخلوق لله تعالى، وتلك علوم

([1]) سيدنا زين العابدين الإمام د/ عبد الحليم محمود: ط دار المعارف الثانية: ص 94 مرجع سابق.

([2])تابع إسعاف الراغبين : ص 240.

ضرورة تدبرها ينبه إمامنا: **فإذا كنت لا تملك أيها الإنسان أصل وجودك، أو نهايته ؟ فماذا تملك إذن حتى تصر على العصيان والكفر ؟!!**

ثانيًا: نهاية الإنسان بعد موته، وتحوله لجيفة، ثم تراب، هذا أيضا من العلوم التي هي بديهته لكل الناس، برؤية العين.

فأراد إمامنا أن ينبه لذلك؛ بأن بناءه وتكوينه، يوضح نهايته ؛ وكذلك نهايته .. توضح بنائه وأصله!

وتلك علوم تتضح برؤية العين المجردة، لا تحتاج إلى أدلةْ نظرية، وهذا كله لأن الإنسان مخلوق من الأرض، فهو منها، وإليها يعود، ومنها يبعث! فأراد إمامنا أن يقول عليك أيها الإنسان الطاعة كما أمرك الله تعالى، فلا تتكبر عليها برأى وهوى ؛ فتضل عن سبيله.

قال الله تعالى : **[إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً]**[1].

ثالثًا: لقد استدل إمامنا أن وجود المخلوقات على الأرض؛ تدل بالضرورة العقلية والبداهة وبالبصر على وجود الخالق المريد المالك لها.

فلا داعى أن يعمى الإنسان نفسه بنفسه، بحجبه بصره وبصيرته عن رؤية هذه الحقيقة، وهذا الحق!!

رابعًا: إن الإعتقاد باليوم الآخر، والقيامة، وما فيه هو الأصل من أصول الدين؛ ومن ثم هو ضرورة عقلية؛ لأن النشأة الأولى في الدنيا قد دلَّت بالضرورة على النشأة الآخرة، فلا داعى لتصور شيطانى يعمى البصر عن رؤية هذه الضرورة الواضحة لكل الناس.

وإن هذا أيضا لو أردنا تحليله وشرحه نحتاج إلى أبحاث، لكن إمامنا بعلمه تحدث بضرورة عقلية وبفطرة نقية، وببلاغة وحكمه، وضح المفهوم ببساطة للعامة، والخاصة من الناس معا.

خامسًا : في آخر قوله ذكر "زين العابدين" : "دار الفناء، ودار البقاء"، وهذا أيضا يشاهده الإنسان ببصره، الولادة وبداية الحياة، وفناء الأشياء بما فيها الإنسان.

ومن ثم يتعجب إمامنا لذلك فكيف يبغى الإنسان، ويفضل هذه الحياة الفانية على الحياة الباقية ويظلم نفسه وهو مع ذلك يرى نفسه فانية؟!! أليس الأحسن له والأصلح أن يكون له حياة أخرى باقية !!

سادسًا : ومما سبق رأى إمامنا أن ما اعتقد خلاف ما ذكره في قوله : هو الذى يرى الحق حقًا ولكن بسبب تكبره وغفلته عن الحق لا يؤمن بالله تعالى، وأصول دينه، وإن تكبره وغروره هو الذى جعله يفاخر بشئ هو يعلمه فان !!

2- ومن حكمه: قال رضي الله عنه في تعريف أرفع درجات اليقين:

"الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين": أي أن الرضا، ومعه ثلج التفويض، والتوكل على الله تعالى...تملك سلوك اليقين.

وسأل "زين العابدين" عن الزهد فقال:" الزهد عشرة أجزاء، فأعلى الدرجات الزهد، أدنى درجات الورع وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإن الزهد في آية من كتاب الله: **[لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ]**[2].....[3].

ومن الجدير بالذكر في قول إمامنا الحكيم، أنه قد شرح مقامات اليقين الذي يسلكها من أخلص وصدق عمله لله تعالى، حيث إن اليقين بدرجاته يدل على الرضا، وإن الورع أعلى مرتبة من الزهد، وإن سلوك الزهد، بمفهومه الإسلامي يرقى للورع في جماله الإسلامي ... وهكذا.

وأشير أن مقامات اليقين بمعنى أعمال السالكين تختلف من شخص لآخر، وهذا لإختلاف الإرادات، قدره السالك على تطبيق الأفعال الإسلامية.

3- ومن حكمه τ في وجوب محاسبة النفس، ومراجعة نوايا الأعمال، قوله:

" ثلاث من كن فيهن من المؤمنين، كان في كنف الله وأظله الله يوم القيامة في ظل عرشه، وآمنه من فزع اليوم الأكبر:

- من أعطى الناس من نفسه، ما هو سائلهم لنفسه.

([1]) سورة البقرة آية 30

([2]) سورة الحديد:آية 23

([3]) سيدنا زين العابدين: مرجع سابق: ص92،93

- ورجل لم يقدم يدا ولا رجلا، حتى يعلم أنه في طاعة الله، قدمها أوفى معصيته.
- ورجل لم يعب أخاه بعيب، حتى يترك ذلك العيب من نفسه، وكفى بالمرء شغلاً بعيبه لنفسه عن عيوب الناس.

وما أعظم وصايا الإمام لإبنه " محمد الباقر τ قائلا: " أفعل الخير إلى كل من طلبه منك، فإن كان أهله، فقد أصبت موضعه .

وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك، ثم تحول إلى يسارك، واعتذر إليك فاقبل عذره.... [1] .

4- ومن حكمه في مقام حب الله سبحانه وتعالى، حيث قال: "إن أحبكم إلى الله تعالى:أحسنكم عملا
- وإن أعظمكم عند الله عملا : أعظم فيما عند الله رغبة.
- وإن أنجاكم من عذاب الله تعالى: أشدكم خشية لله تعالى"
- وإن أقربكم من الله: أوسعكم خلقا[2]

في الواقع أن شرح ما تواتر إلينا، من حكم الإمام تحتاج إلى أبحاث وأبحاث من الشروح، والتحليل في عظيم خواطر أمامنا.

وفاته رضي الله عنه:

روي أنه مات في سنة أربع وتسعين، عن ثمان وخمسين سنة، على أكثر الآراء.

ودفن بالبقيع في المدينة المنورة، في القبر الذي فيه عمه الحسن ابن على.

أما ما اشتهر في مصر القديمة بالقاهرة أنه قبره، فإنه لإبنه " زيد"فقد دفن رأسه الشريف هذا على أكثر وأشهر الآراء.

وقيل أنه رضي الله عنه مات مسموما، وأن الذي سمه الوليد بن عبد الملك والله أعلم. [3]

([1]) سيدنا زين العابدين: ص98،99.
([2])المرجع: تابع من 89،101.
([3]) سيدنا زين العابدين: ص98،99.

(الفصل الثالث)
نظرة مجملة في رسالة الحقوق لزين العابدين

تمهيد:

لقد قدر الله تعالى ومنى على الإمام "زين العابدين"، أن يعيش في وسط أعاصير الفتن، وأن يرى من البلاء في خير الناس مالا يوصف. وإن تلك المحن أثقلته قوتا وثباتا وعلما ومعرفة لله تعالى، ولذلك كانت مؤلفاته طابعها متجها إلى جهاد النفس وتزكيتها، وإلى آداء الحقوق.

وكان له الكثير من الأدعية، والتسبيح، والمناجاة في كل الأحوال، والأنفاس، التي تعمل على تصفية القلوب من أدرانها، وعلى تقوية النفوس على الصلاح والاستقامة، بكل جارحة للإنسان، كما فصل القول فيها تفصيلا.

فالمسلم من أسلم نفسه لله تعالى، يفعل الأوامر، ويدرء بنفسه عن النواهي؛ ولذلك كما قال الإمام "عبد الحليم محمود" في حديثه عنه :"أنه حقق الإسلام بمعناه الصادق عملاً قبل الدعوة له، كان زين العابدين محققًا قوله تعالى **[وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]** [1]..[2]

ومن ثم فلا غرابة أن نجد للإمام "على زين العابدين" رسالة مكتوبة له للحقوق كلها، في ظل أنوار النبوة، التي مازالت في آل بيت رسول الله ρ.

فمن الجدير بالذكر في هذا العصر أن نجد مؤلفا مكتوبا؛ لأن الرعيل الأول من المسلمين كان همهم، وشغلهم الشاغل في عملين:

العمل الأول: اكتساب العلم وحفظه، والانشغال بالعمل به وتطبيقه، فكانت القلوب والعقول معا هي المخزون الأول للعلوم.

العمل الثاني: الدعوة للإسلام، ونشره في الأرض، وآداء الأمانة فيه، ولذلك فإن تلك الرسالة العظيمة، دلّت على فراسة زين العابدين، وكأنه يعلم بقلبه باحتياج ما تأتي من عصور، لتلك الرسالة وما فيها من علوم واجبة.

على الرغم من أن تلك العصور الثلاثة الأولى، من نشر الإسلام، بالقياس بغيرها كان فيها أصول العمل، بالمفهوم الصحيح والشامل للحقوق الإسلامية، وكان خيرهم، المثل العليا للناس كافة، كان من بيت النبوة، وصحابته ρ.

أولاً: تعريف الحقوق لغة واصطلاحًا:

قبل عرض النظرة الإجمالية لرسالة الحقوق، يلزم أولا توضيح القصد اللغوي الصحيح والإصطلاحي لكلمة حقوق:

الحقوق في اللغة:

الحق: من أسماء الله الحسنى، والثابت بلا شك ويوصف به فيقال : قولٌ حقٌ. ويقال: هو العالم حقٌّ. العالم: متناه في العلم. وهو حقٌ بكذا : جديرٌ به.

والنصيب الواجب للفرد أو الجماعة: حقوقٌ، وحقاقٌ وحقوق الله: ما يجب علينا له.

"الحقانِيّ": المنسوب إلى الحق. "الحَقَةُ": حقيقة الأمر. "الحقيقُ" بالأمر: الجدير به، ويقال: هو حقيق أن يفعل. و"حقّ" الأمر: حقا، وحقوقا: صح وثبت وصدق، ويقال: يحق عليك أن تفعل كذا: يجب ويحق لك أن تفعل كذا والأمر حقا: يتقنه، وصدقه

والحقيقة: الشيء الثابت يقينا، وحقيقة الشيء: خالِصُه وكُنهُهُ. وحقيقة الأمر: يقين شأنِه[3].

أما التعريف الإصطلاحي للحقوق:

إن حقوق الإنسان في القانون الدولى العام هى: جملة الضمانات التي يعترف بها كحد أدنى للكائن الإنساني في جميع الظروف[4]

---

[1]() الذاريات: الآية 56.

[2]() تابع سيدنا زين العابدين: ص178(بتصرف).

[3]() تابع تفصيل ذلك في المعجم الوجيز: ط خاصة بوزارة التربية والتعليم سنة 1422هـ- 2002م: ص163(بتصرف)

[4]() تابع الإسلام والقانون الدولى: أ.د إحسان هندي: ص16وما بعدها: ط دار الفكر.

أو هي جموعة الإمتيازات التي يجب أن يتمتع بها الإنسان، على مستوى الفرد والجماعة؛ بمقتضى خصائصه الإنسانية البحتة فقط، باعتراف الجماعة الإنسانية وضمانها ذلك. [1]

ومن ثم لقد قسم الباحثون المعاصرون هذه الحقوق إلى قسمين اثنين:

الأول – الحقوق الأساسية: وهي التي يتمتع بها الناس جميعا، وينظر فيها إلى شخصية الإنسان دون أي اعتبار آخر، بحيث لا يستمتع بالحياة امرؤ إلاَّ مع توافرها، فهي من متممات منحة الحياة التي وهبها الله تعالى للإنسان على الأرض.

وهي تشتمل على جميع الحقوق التي أعلن عنها بيان حقوق الإنسان وأهمها :

1- الحق في الحياة والكرامة .
2- الحرية.
3- العدل.
4- حرية التدين.

الثاني: الحقوق السياسية والمدنية:

هي التي يتمتع بها جميع المسلمين ضمن شروط خاصة؛ وهي تقوم على رابطة الولاء للعقيدة الإسلامية. [2]

وإن مفهوم الحق في الموسوعة الفقهية الكويتية، على مصنفين :

الأول: الحكم المطابق للواقع، ويطلق على الأقوال، والعقائد والأديان والمذاهب، باعتبار اشتماله على ذلك، ويقابله الباطل.

الثاني: الواجب الثابت وهو قسمان: حق الله سبحانه وتعالى، وحق العباد

1- **حق الله سبحانه وتعالى:** ما يتعلق به النفع العام للعالم، من غير اختصاص بأحد، فينسب إلى الله تعالى لعظم خطره، وشمول نفعه.

2- **حق العبد:** ما يتعلق به مصلحة خاصة، كحرمة ماله. [3]

ما ورد من روايات في رسالة الحقوق:

وردت رسالة الحقوق للإمام على زين العابدين τ، في مصنفات عديدة بروايتين لغير الشيعة ولبعض الشيعة، وقد وردت في كتاب(أعيان الشيعة) بروايتين:

الأولى: رواها الصدوق في الخصال عن "على بن أحمد بن موسى"، عن "محمد الأسدي عن جعفر"، "ابن محمد بن مالك الغزازي"، عن "خيران بن داهر"، عن "أحمد بن سليمان الجبلى" عن أبيه ..... عن أبي "حمزة الثمالى"، قال: هذه رسالة "على بن الحسين" عليهما السلام إلى بعض أصحابه .

" اعلم أن الله سبحانه وتعالى عليك حقوقا...ألخ"

والثانية : رواها الحسين بن على بن شعبة الحلبي[4].

والخلاف يسير وقليل بين الروايتين، لكن الرواية المعتمدة عند الشيعة: الرواية الأولى والثانية عند بعضهم، ومذهب السنة.

فلما كان الخلاف بين الروايتين يسير، فأنا قد اعتمدت في الشرح والتحليل على النسخة التي وردت في الصحيفة السجادية الكاملة ورسالة الحقوق، طبعة دار القارئ [5].

الأسباب الداعية لزين العابدين لتأليف رسالة الحقوق:

أولا: لقد قدر لإمامنا العظيم أن يعيش حياة من الأنوار المحمدية، والعلوم بدأ في كنف جده الإمام على τ ، ثم نشأ في مدرسة عمه الحسن وأبيه الحسين سبطى رسول ρ، وتغذى واستقى من مصادر واقعية في العمل الإسلامي، فبرز على الصعيد العلمي والديني إماما في الدين ومنارًا في العلم، ومرجعًا

([1]) حقائق عن الفكر الإسلامي: أ.د محمد عبد اللطيف صالح الفرفور:ط دا المكتبي ط الأولى 1423-2002(سورية – دمشق)

[2]() حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية : درعبد السلام الترمانيني. نقلا من المرجع السابق: ص216.

[3]() تابع بتفصيل: الموسوعة الفقهية الكويتية : ص7:ص18وما بعدها وإعلام الموقعين /ص108

[4]() الطبعة الثانية لسنة 1433هـ/2012م لبغداد - العراق

[5]() الطبعة الثانية لسنة 1433هـ/2012م لبغداد - العراق

في الحلال والحرام، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، فأصبحت له قواعد شعبية ممتدة في كل مكان من العالم الإسلامي؛ ولذلك كما سبق قال الإمام مالك: سمي زين العابدين لكثرة عبادته، وقال سعيد بن المسيب τ: ما رأيت قط مثل "على بن الحسين" وقال سفيان بن عيينة: مارأيت هاشميا أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه.

وعدَّ الإمام الشافعي على بن الحسين: أفقه أهل المدينة.

وقد اعترف بهذه الحقيقة حتى حكام عصره من خلفاء بني أمية، على الرغم ما كان من خلاف وأحداث...، لقد قال له عبد الملك بن مروان: " ولقد أوتيت من العلم والدين والورع، مالم يؤته أحد مثلك قبلك إلا من مضى من سلفك".

ولذلك وصفه الإمام "عمر بن عبد العزيز" بأنه: " سراج الدنيا، وجمال الإسلام زين العابدين[1].

ثانيا: لقد قدر لإمامنا أيضا أن يعيش ويرى من البلاء الشديد الذي تعرض له : من جده الإمام على كرم الله وجهه ... لعمه الحسن ثم ما شاهده في أبيه، وما تعرض له من ظلم، لا تفي أي عبارات بوصفه، كذلك ما تعرضوا له جميعا أل بيت الحبيب المصطفى ρ....إن هذا كله قوى قلبه بعظيم الإيمان والمعارف الربانية، والقوة والثبات، فقد استطاع إمامنا العظيم أن يرى بعين اليقين زوال الدنيا ونهاية أهل الباطل، فقد عاش τ مقام العبودية الخالصة لله تعالى، عن بصر وبصيرة، بمبادئ وأحكام ومقاصد الإسلام.

ولذلك فلا عجب من استخراجه لتلك الحقوق، وفق الكتاب والسنة، يجب مراعاتها، والتنبه لها في الأفعال، والنيات وفق الطاقة البشرية.

ثالثا: لقد قدر لإمامنا أن يتسلم مسئولياته القيادية، والروحية بعد استشهاد أبيه، فمارسها خلال النصف الثاني من القرن الأول، في مرحلة من أدق المراحل التي مرت بها الأمة في مهدها.

فهذه المرحلة هي التي أعقبت موجة الفتوح الأولى، فزلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة، وضمت شعوبا مختلفة، بفلسفات وأفكار مختلفة في بلاد واسعة، إلى الدعوة الجديدة.

فأصبح المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم، وهذا جعل من المسلمين قوة كبرى على الصعيد العالمي، من الناحية السياسية والعسكرية؛ وهذا ما أدى إلى ماهو أخطر على المسلمين من الناحية العسكرية في تلك البلاد:

الخطر الأول: الثقافات الفلسفية المتنوعة، والعادات الاجتماعية المختلفة عن القيم الإسلامية، وإن حكم التفاعل معهم، جعل من علماء الأمة أن يتعرضوا لموضوعات فلسفية، وأفكار لم تكن تسمع في تراثهم العلمي، فكان يلزم عليهم من حرية فكرية إجتهادية، تفتح آفاقهم الذهنية، ضمن ذلك الإطار ويستطيعوا أن يستنبطوا من أصولهم في الكتاب والسنة، ما يستجد لهم من معارف، وذلك إما أن يكون لها من القبول في العقيدة الإسلامية، أو الرفض بدليل العقل والنقل معا.

وهذا ما قام به الإمام العظيم "زين العابدين" بحلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول ρ يحدث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية من تفسير، وحديث، وفقه، ويفيض عليهم من علوم أبائه الطاهرين وليخرج النابهين في تلك الحلقة على التفقه، والإستنباط **ومن الجدير بالذكر**: أنها كانت المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه، والتفسير، والعقيدة والأخلاق والقيم الإسلامية.

وكما روي أن إمامنا استقطب من حلقاته التعليمية الجمهور الأعظم، من القراء، وحملة الكتاب والسنة، حتى قال "سعيد بن المسيب" "إن القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة، حتى يخرج على بن الحسين فخرج وخرجنا معه ألف راكب"[2].

الخطر الثاني: نجم عن موجة الفتوح الرخاء، التي سادت العالم الإسلامي، فقد تغيرت الحياة في أعقاب ذلك الإمتداد الهائل، فقد أدى ذلك إلى الرخاء وانسياق ضعاف النفوس، مع ملذات الدنيا والإسراف في زينة الحياة الدنيا؛ ومن ثم انطفئ لديهم الشعور الملتهب والحماس بالصلة الروحية بالآخرة ؛ ولذلك طمست تلك الشهوات الصلة الروحية، وصلة القلوب بالله تعالى.

---

[1]() تابع هذه الأقوال في الصحيفة السجادية الكاملة (المقدمة) ص 9/8.

[2]() تابع بتصرف الصحيفة السجادية : ص11.

ولذلك رأى الإمام تلك الأخطار على المسلمين فبدأ بعلاجها بحلقات علمية، كما كان يخطب الناس في كل جمعة، ويعظهم ويزهدهم في الدنيا، ويرغبهم في أعمال الآخرة، فكان يقرع أسمائهم وقلوبهم بما عليهم من حقوق وواجبات، سوف يحاسبون عليها.

ومن الجدير بالذكر كانت لإمامنا (كما سبق) سلسلة من الأدعية والحمد، والثناء التي اتخذها علاجا للترقي وليتحقق بها إخلاص العبودية لله تعالى، فقد استطاع الإمام بما أوتي من بلاغة فريدة وقدرة فائقة على أساليب التعبير العربي، فقد ألهمه الله تعالى من واقع فقهه بالقرآن الكريم بأدعية، تناسب كل حالة من حالات المسلم، فاستطاع بما أوتي من تلك الخواطر الربانية، أن ينشر من خلال هذه الأدوية العلاج، والتطهير للدخول في المعارف والأنوار الربانية، بجانب أن ذلك كان يعمل على تثبيت المسلمين في قيمهم وأصولهم الإسلامية.

ولذلك إن رسالة الحقوق، وتلك الأدعية والمناجاة والتسبيح للإمام **رضي الله تعالى عنه**.. إن هذا كله يعبر عن عمل اجتماعي عظيم، كانت ضرورة المرحلة التي فيها الإمام، والتي أعقبت أنوار النبوة.

لكن أضيف ليست ضرورة المرحلة فقط، ولكنها تجب في حياة المسلمين في كل أحوالهم.. على وجه الخصوص في هذه المراحل العصيبة التي تمر بالعالم الإسلامي، والعربي.

بالإضافة إلى كونها تراثًا ربانيًا فريدًا، يظل علامة للعطاء، ومدارس للأخلاق تبين كذب وإدعاء الجهلة، وأعداء الإسلام على المسلمين الأوائل، على وجه الخصوص" آل بيت الرسول ρ وصحابته، من أحداث وأفعال تقلل من شأنهم رضى الله عنهم جميعا.

النفحات الربانية للإمام زين العابدين في سرد الحقوق وعدها:

أولا: لقد عدَّ الإمام الحقوق للإنسان، خمسين حقًا من الحقوق، يجب على المسلمين رعايتها والتنبه لها.

وقد عدّها منبها، ومحذرا عن التقصير في حق منها، قائلا: "فهذه خمسون حقا محيطة بك، لا تخرج منها من حال من الأحوال، يجب عليك رعايتها، والعمل تأديتها، والاستعانة بالله جل ثناؤه على ذلك، ولا قوة إلاَّ بالله، والحمد لله رب العالمين"[1].

ثانيا: إن حياة الإنسان على الأرض، لا تستوي، ولا يذوق الحياة الصحيحة كذلك ولا ينعم بنعمة الأمن والسلام والحياة الكريمة، إلاّ تطبيقه لتلك الحقوق، ورعايته لها، على حسب قدرته البشرية، فقط يصدق النية والعزم لله تعالى فيه، وعلى الله قصد السبيل.

ولذلك يجب عليه عدها وحفظها، علما وعملا وخلقا؛ لكي لا يخرج مما أحاطه الله تعالى به من الحقوق.

وقد ذكر إمامنا(محيطة بك) في كل أحوال العبد، في أنفاسه لا يجب عليه اختراق تلك الإحاطه فيضل ويشقى، فيصاب بالهم والحزن؛ ومن ثم من بلاغة إمامنا تعبيره بقوله: (رعايتها)، وهذا يرجع إلى طبيعة الإنسان وتقلباته بين قوة وضعف، وزيادة ونقص، أى بين زيادة الإيمان، ونقصه.

ولذلك فإن لفظ (الرعاية) أبلغ في التعبير وأوقع، وأحسن في تذكير الإنسان بملازمة العمل ومن ثم قال: (والعمل في تأديتها): أى متابعة الإنسان في تمامه، وشموله لها، والسداد لها دون أدنى تقصير ينويه ويريده. فإذا حدث منه سهوًا، أو اهمالاً لبعضها، أو أخطأ متعمدًا. عندئذ يجب عليه أن يتوب إلى الله، ويرجع ليحسن من عمله بتلك الحقوق. وأشير: أن هذا يرجع إلى القاعدة الإيمانية "الإيمان يزيد وينقص لا لينقص بل ليجدد إيمانه ويزيد"؛ لأن المؤمن إذا قصر في حق من الواجبات الشرعية، رجع إلى الله تعالى، وهو محسن آداب ذاكر مستغفر.

ثالثا: إن رسالة الحقوق تعمل على التوازن والسلام النفسي، كما تعمل على توازن النفس للنفس فتستوي الحياة وتصح وينعم الإنسان بنعمة الطمأنينة؛ فإذا تهذبت الجوارح والحواس في الإنسان وتطهرت من أفعال تخلد بها إلى الأرض، عاش الإنسان منسجما مع طبيعته، ومع طبيعة كله شيء خلقه الله تعالى في الأرض خادمًا ومسخرًا له.

ولذلك فإن هذه رسالة عظيمة، تشمل كل الواجبات، وتحقق للعبد الصادق المخلص أن يعيش في مقام العبودية لله تعالى.

---

[1]() تابع الصحيفة السجادية: ص225-226.

رابعا: من الجدير بالذكر في هذه الرسالة: أن إمامنا التقي الورع، لم يفرق بين حق للإنسان هو له وحق عليه.

فكلها الحقوق التي تجب، فإذا نظر الإنسان في الأولى له من الأعمال، صارت كل الحقوق لديه إذا كان عمله فيها لله تعالى.

ولذلك رأى τ أن أساس العمل بتلك الحقوق، والإحاطة بها لا يكون ولا يستطيع القدرة للإحاطة بها إلاَّ: بالتوكل على الله بحوله وقوته؛ ليمده الله تعالى بمدد الإرادة، و القوة والطاقة، والسعة النفسية وتجدد الإرادات بالعمل الدائم في الحركات والسكنات.

ولذلك مع أنوار العمل بتلك الحقوق، يعرف المسلم بعين اليقين وحقه، في تذوق العمل لله تعالى مدى التكريم له من الله تعالى بأنه إنسان أكرمه، وفضله على كثير ممن خلق.

الفصل الرابع
تفصيل وتحليل رسالة الحقوق لزين العابدين

تمهيد

قال الله تعالى **[بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ]** [1]. وقال تعالى **[فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ]**[2].

إن حقيقة الاستقامة: كلمة جامعة تعني ما يخص الإنسان في حياته من الأقوال، والأفعال، والنيات والأحوال تخص القلب والعقل، والجوارح مع الروح... ومن ثم تعني الدين كله.

وإن الحلال بمفهومه الشرعي هو القسط، و القسط هو الحق؛ لأن ضد ونقيض عدم قيام الشيء في موضعه.

وإن الحرام ظلم وجور، وانحراف ضد طبيعة الإنسان، وطبيعة كل شيء سخره الله تعالى في الأرض لخدمة الإنسان.

ومن ثم الواجب على الإنسان والموافق للفطرة هو إقامة كل شيء في موضعه الصحيح، كما خلق الله تعالى وصوره؛ ولذلك لا يستطيع الإنسان تذوق مفهوم الحياة الصحيحة، والآمنة من أي خوف، إلاّ إذا امتثل على الاستقامة الشرعية قال الله تعالى:**[لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ]** [3].وعلى ذلك أراد إمامنا تفصيل الحقوق الواجبة على الإنسان، فكل جارحة وفعل له من الحقوق والواجبات، التي شرعها الله تعالى، وهذا هو نعت للذوق والسرور، والنعمة، والسعادة بمفهومها، من الأمن والطمأنينة يوضح ذلك التالي:

الحق الأول وأصل الحقوق هو حق الله سبحانه وتعالى:

قال الله تعالى**[إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا....]**.[4]

وقال تعالى**[إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ]**.[5]

إن معرفة الله تعالى هى عقيدة فى القلب، لا تنفصل عن المسلم فى أنفاسه، ولا حركاته وسكناته ومن ثم هي العقيدة، والشريعة، والأخلاق السامية.. والحقيقة المرجوة من الإنسان من حملة أمانة التكليف في الأرض.

وإن هذه الحقيقة الإسلامية تتجلى في العارفين بالله تعالى؛ ومن ثم فإن الإسلام في عرف اللغة: التسليم، والاستسلام بالإذعان، والانقياد، وترك التمرد والإباء والعناد، ومحله اللسان والجوارح والقلب.

إما الإيمان: فإن محله القلب، واللسان ترجمان له.

قال زين العابدينτ:" اعلم رحمك الله أن لله عليك حقوقا محيطة بك، في كل حركة حركتها وسكنة سكنتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها أو آلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض. وأكبر حقوق الله عليك، ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرع".[6]

من الجدير بالذكر: أن الأصل في عمل حق الله تعالى هو الإخلاص، وقد ذكر ذلك "زين العابدين" باختصار بليغ، حيث قال: " فأما حق الله الأكبر فإنك تعبده لا تشرك به شيئا، فإذا فعلت ذلك بإخلاص، جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لك ما تحب منها".[7]

وقد أشار زين العابدين بأن الإخلاص في مفهومه هو الأصل الذي يقبل به الإعمال، وهو كذلك الذي يحفظ العامل به من هموم الدنيا، كما يحفظ له ما يحب منها، قال تعالى**[وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ]**.[1]

---

[1]() البقرة: آية 112
[2]() الأعراف: آية 35
[3]() الأعراف: آية179
[4]() فصلت: آية 30
[5]() الأحقاف: آية 13
[6]() الصحيفة السجادية: ص225.
[7]() المرجع ص277.

ويعني الإخلاص: إسلام الوجه، أي إخلاص القصد والعمل والإحسان فيه : متابعة رسوله ρ وسنته؛ لقوله تعالى:**[وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ].**[2]

وإن أصل الإخلاص، ومرجعه: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة. ومن ثم عليه يكون استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن.

وكلما صدق المسلم في إخلاصه كان باطنه أعمر في الخير من ظاهره، وعلى نقيض ذلك الرياء: أن يكون ظاهره خيرا من باطنه.

ومن الجدير بالذكر: هذا ما قصده إمامنا بقوله **(الحق الأول)** بإفراد على الرغم أن العمل به يشمل كل الحقوق في حياة الإنسان كلها، لكن مفهومه كله يرجع إلى عمل واحد هو الإخلاص.

فما أوجز كلمات زين العابدين، وأعظمها في حياة الإنسان المسلم. وعلى الجانب الآخر إن أعظم الظلم، وأصل الظلم الذي يشمل ويندرج عليه كل ظلم هو: الشرك؛ لقوله تعالى:**[إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ]**[3].

ولذلك فإن أصل الخسران هو في عمل الشرك بالله تعالى، لقوله تعالى:[**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ]**[4].

ويضاد الإخلاص: الإشراك، والإخلاص في التوحيد يضاده: التشريك في الإلهية.

والشرك منه جليّ وخفيّ، وكذا الإخلاص. ولذلك فالإخلاص، وضده يتواردان على القلب وذلك في القصود والنيات[5]، ويتبين ذلك من إرادة المسلم في الأعمال.

فكما أن الإلحاد عبارة عن الميل، ففي السلوك هو أيضا الميل عن الحق **جلّ وعلاّ** [6] وهكذا فإن ضعف العمل يتضح من شوب الإخلاص لله تعالى، وهو الميل عن الحق.

وإن أصل الحقوق في عبادة الله تعالى، ومعرفته، يتضح في إخلاص العمل لله تعالى لوجهه سبحانه وتعالى. وإن درجة الإخلاص تعني من كلام "زين العابدين" قيام المسلم ما وجب عليه من حقوق لوجهه سبحانه وتعالى، بقلبه وقالبه. وإن جهاد العمل وأصله من عقد القلب له: أن يكون العمل من الله تعالى، وبالله تعالى، وإلى الله تعالى، وهذا يؤدي إلى ما قاله إمامنا كما سبق "جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لك ما تحب منها".

<u>الحق الثاني: حقوق الأعضاء:</u>

من الجدير بالذكر ما ذكره" زين العابدين" في حقوق الأعضاء؛ فإن كل عضو خلق لفعل خاص فعلامة مرضه أن يتعذر منه ذلك الفعل، أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب بين الفعل ونقيضه فمرضى اليد: تعذر البطش، ومرض العين: تعذر الإبصار، ومرض القلب: أن يتعذر فعله الخاص به الذي خلق لأجله، وهو العلم والحكمة والمعرفة، وحب الله تعال، وعبادته، وإيثار ذلك على كل شهوة، وهذا يشمل كل الأعضاء على حسب كل عضو منها، فمرض اللسان مثلا: هو الغيبة والنميمة، ومرض السمع: سماع الباطل لا غير، ومرض العين: تعذر الإبصار عن رؤية كل شيء يدل على وجود الله تعالى ومعرفته ..... وهكذا.

فلو أن الإنسان عرف كل شيء، ولم يعرف الله سبحانه، كان كأنه لم يعرف شيئا.

وعلامة المعرفة: الحب، فمن عرف الله تعالى أحبه، وعلامة المحبة: أن لا يؤثر عليه شيئا من المحبوبات، فمن آثر عليه شيئا سبحانه وتعالى من المحبوبات فقلبه مريض[7].

---

[1]() سورة البينة: آية 5

[2]() سورة النساء: آية 125

[3]() سورة لقمان: 13

[4]() سورة الزمر: آية17:14

[5]() تابع مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية: ط دار الحديث: جـ2:ص93:95 (بتصرف).

[6]() تابع إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالى: ط دار الحديث: جـ15 ص27(بتصرف).

[7]() تابع مختصر منهاج القاصدين: الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي: ط إحياء الكتب الإسلامية(بيروت): ص155 (بتصرف).

وإن تذوق المسلم حلو الحياة، يرجع إلى علاقته بربه، وإن علاقته بربه لا تستوفى حقوقها، إلاَّ إذا نظر ما في نفسه وأعضاءه وأفعاله وما عليه من حقوق، شرعها الله تعالى له.

ولذلك أراد "زين العابدين"أن يُفصل كل عضو، وكل فعل من الإنسان ليتضح له الأمر تفصيلا وهذا لا يكون إلاَّ باكتساب العلوم، ومعرفة ما عليه من حقوق، ثم عملها بتفصيل كل عضو وفعل والمحاسبة والمراجعة لكل الحقوق بعد فعلها؛ ليتبين له من الضعف والقصور من أدائها بما يحبه الله تعالى ويرضى.

وقد سبق أن ذكر" زين العابدين" أن حقوق الأعضاء سبعة يبين ذلك التالى:

1- <u>حق النفس</u>

النفس لغة: هي ذات الشيء وعينه. [1]

وقد عرفت النفس بين العارفين بالله تعالى بأنها: المعنى الجامع لقوة الغضب، والشهوة في الإنسان، وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف، وقد عرفت أيضا بين العارفين بالله تعالى بأنها: اللطيفة، وهي نفس الإنسان وذاته، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها؛ فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة، قال تعالى في مثلها: **[يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً] .**[2]

وإذا لم يتم سكونها، ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية، ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة موالاة قال الله تعالى: **[وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ]**.[3] وإن تركت الاعتراض، وأذعنت، وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان، سميت النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى:**[وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ]**[4].

والمراد بالأمارة بالسوء هي التي أطاعت الدواعي الشيطانية[5]. وهي مذمومة غاية الذم، وبالمعنى الأول طاعة الله تعالى هي محمودة؛ لأنه كما قيل أن نفس الإنسان أي ذاته، وحقيقتها الفطرية هي العالمة بالله تعالى، وسائر المعلومات.

ومن ثم أن الجدير بالذكر قال" زين العابدين":" وأما حق نفسك عليك فأن تستوفيها في طاعة الله، فتؤدي إلى لسانك حقه، وإلى سمعك حقه وإلى بصرك حقه، وإلى يدك حقها، وإلى رجلك حقها، وإلى بطنك حقه، وإلى فرجك حقه، وتستعين بالله على ذلك".[6]

لقد تحدث إمامنا عن حق النفس على وجه الإجمال، وبتفصيل من حيث السمع، والبصر واليد والرجل، والبطن، والفرج.

حيث إن النفس هي الأصل في توجيه كل ذلك من الأعضاء. فإذا انفصلت النفس عن الأمر الإلهي، صارت كل هذه الأعضاء خلاف ونقيض ما خلقت له؛ ولذلك تتصف هذه النفس بكل سوء من الصفات من الجهل، والبخل، والحرص، والكبر، والحسد، والحقد،...وعرفت بين العارفين بأنها خبيثة لا تفرق بين حق وباطل، ومظلمة، وكلما فعلت من سوء تكاثفت الحجب بينها وبين رؤيتها للحق، وأفسد الصدأ صفح مرآتها، وهي الفطرة التي فطرت عليها قبل تكاثف هذه الحجب عليها[7].

وعلى ذلك رأي" زين العابدين" أنها إذا أرادت الإنابة إلى الله تعالى، وتيقظت من غفلتها يجب أن تحرك كل ما ذكره من أعضاء في طاعة الله تعالى، وتؤدي ما عليها من حقوق.

وعلى ذلك إن تقصير النفس، في عمل الحقوق الشرعية، يرجع إلى تقصيرها في توجيه تلك الأعضاء، في عمل ما خلقت له من حقوق وواجبات شرعية، وإن التقصير هنا ليس البعد الكامل عن أداء الحقوق.

---

[1]() تابع المعجز الوجيز: ص 627.

[2]() الفجر: الآية 27،28

[3]() القيامة: الآية 2

[4]() يوسف: الآية 53

[5]() تابع إحياء علوم الدين: الإمام الغزالى: جـ3: ط التوقيفية: ص5-6(بتصرف)

[6]() الصحيفة السجادية: ص227.

[7]()تابع السير والسلوك إلى مالك الملوك: الشيخ قاسم بن صلاح الدين الحلبي: ط دار مكة المكرمة (الجيزة مصر): ص66(بتصرف).

ومن ثم تسمى عندئذ لوامة؛ لأنها ترى الحق حق، والباطل باطلاً وتعرف ما تجب عليها من حقوق، لكنها لا تعمل ولا توافق الشرع، فقيل أن بهذه النفس خصمان متنازعان: الهوى والاستقامة، بين موافقة العمل في تلك الأعضاء، وبين التقصير[1].

فيجب عليها تكثيف المجاهدة بتطويع تلك الأعضاء على الاستقامة الشرعية، كما سيأتي أيضا في حقوق الأفعال.

وعلى ذلك فإن كل طاعة للنفس بتلك الأعضاء، هو لإقامتها في مقام النفس المطمئنة الصحيحة فلا تستطيع ذلك ويتعذر من أعضاءها فعل ما خلق له ويسكن له (كما سيتضح).

ومن ثم قيل: أن معنى الطمأنينة في اللغة: السكن، والمقصود بالسكن القلب. فالطمأنينة سكون يقويه أمن صحيح، فيه استراحة الأنس بالله تعالى.

أما السكينة كما ورد: صولة تورث صمود الهيبة أحيانا؛ ولذلك تكون نعتا، وحين بعد حين، لكن الطمأنينة نعت لا تزايل صاحبها[2].

2- <u>حق اللسان:</u>

الحمد لله رب العالمين، الذي أحسن خلق الإنسان، وعدّله وألهمه نور الإيمان، فزينه به وجمله وعلمه البيان، وأمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله.

فإن اللسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة؛ فإنه على رغم صغير جرمه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلاَّ بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان.

ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق، متخيل أو معلوم، مظنون أو موهوم إلاّ واللسان يتناوله، ويتعرض له بإثبات أو نفي، فإن كل ما يتناوله العلم يصرف عنه اللسانُ إما بحق أو باطل.

وهذه خاصية لا توجد إلاَّ في سائر الأعضاء؛ فإن الآذان لا تصل إلى غير الأصوات، والعين لا تصل إلى غير الألوان، واليد لا تصل إلى غير الأجسام... وكذا سائر الأعضاء.

واللسان رحب الميدان ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى وحدّ، له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان، وأهمله مرضى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلاَّ حصائد ألسنتهم.

ولا ينجو من شر اللسان إلاَّ من قيد بلجام الشرع[3].

وأسرع الأعضاء اندفاعا إلى الشر هو هذا العضو، وكذلك فإن أعصى الأعضاء على الإنسان اللسان، فإنه لا تعب في إطلاقه، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان.

لقد تحدث "زين العابدين" عن وجوب تكريم اللسان، بأن لا ينطق إلَّا بخير، وتطويعه على الأدب ولا يتكلم إلَّا لموضع الحاجة، والمنفعة للدين والدنيا، حيث قال:" وأمَّا حق اللسان فإكرامه عن الخَنَى وتعويدُه على الخير، وحُمله على الأدب، وإجمامه إلَّا لموضع الحاجة، والمنفعة للدين، والدنيا وإعفاؤه عن الفضول الشُنعة القليلة الفائدة، التى لا يؤمن ضررُها، مع قلة عائِدتها وبعدُ شاهِد العقل والدليل عليه وتزين العامل بعقله حسنُ سيرتِه فى لسانهِ ولا قوة إلَّا بالله العلىّ العظيم". [4] قال تعالى: **[قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ]**[5]

<u>آفات اللسان:</u>

ومما سبق يتضح أن آفات اللسان كثيرة، ومتنوعة، ولها فى القلب حلاوة ولها بواعث من الطبع، ولا نجاة من خطرها – كما قيل- إلاَّ بالصمت، وهكذا رأى العلماء، أن جهاد آفات اللسان لا تكون إلاَّ

---

[1]() تابع روضة التعريف بالحب الشريف والوزير لسان الدين الخطيب. ط دار الفكر العربي: ص143(بتصرف).

[2]() تابع منازل السائرين: الإمام الهروي: ط البابي الحلبي: ص50(بتصرف).

[3]() تابع بتصرف إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالى جـ3 : ص149.

[4]() الصحيفة السجادية: ص 227.

[5]() المؤمنون: آية من 1:5.

بالصمت إلاَّ بخير؛ لأنه هو الذى تجمع الهمة ويفرغ الفكره؛ لقوله تعالى عن سيدنا زكريا عليه السلام: **[قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً]**[1]

إن العارفين بالله تعالى، فى الماضي، كانوا يعلمون الأثر النافع على النفس، من عباده الصمت وكذلك فى التزكية والترقي فى مقامات اليقين، وكما تبين فى الآية الكريمة عن سيدنا زكريا لما طلب من الله تعالى الآية فى منحه بسيدنا يحيى عليه السلام، كانت ألا يكلم الناس ثلاث ايام؛ فالصوم لله تعالى ليس فقط عن الطعام والشراب، بل عن الكلام له قدر ومكانة فى حب الله تعالى لقوله تعالى عن السيدة مريم: "عليها السلام" :**[إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً]**[2]

هذا لأن آفات اللسان خطيرة جدا في عمل الإنسان، ولها الأثر الكبير في خفض ميزان العمل يوم القيامة؛ حيث إنه أسرع عضو في الإنسان في الإقبال على الخطأ، ومن ثم فإن دور العقل في تحكم وضبط اللسان إلاَّ بخير.

عن أنسτ عن النبيρ: (يعذب اللسان بعذاب لم تعذب به شيئا من الجوارح، فيقال له. خرجت منك كلمة بلغت مشارق الأرض ومغاربها فسُفك بها الدم من الحرام، وأخذ بها المال الحرام، وأُنتهك بها الفرج الحرام فوعزتي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئا من الجوارح).[3] وعلى ذلك فإن آفات الكلام كثيرة جدا منها:

<u>الآفة الأولى:</u> الكلام فيما لا يعني.

وهذا لأنه فائدة للإنسان من عمره إلاّ ذكر الله تعالى، وهذا هو رأس ماله، ينفقه في عمره القصير مهما طال، وقد تقدم الدليل .

<u>الآفة الثانية:</u> الخوض في الباطل، وأنواع الباطل كثيرة .روى أبو هريرة τ عن رسول الله ρ: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت).**[4] وقالρ: **(أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل).** [5]هذا لقوله تعالى:

[وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ][6]ولقوله تعالى أيضا **[فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ]** [7]

والباطل في كل معصية لله تعالى، الغيبة والنميمة والفحش وكل ما خالف الشريعة، والكلام في البدع والمنكرات.

<u>الآفة الثالثة:</u> الفحش والسب وبذاءة اللسان: وهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة والفاحشة يستقبح ذكرها، ويستعمل أكثرها في الشتم والتعبير، وهذه العبارات متفاوتة في الفحش، وبعضها أفحش من بعض.قالρ: **(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)** [8]

<u>الآفة الرابعة: المزاح</u>، وقيل فيه بجواز اليسير منه، فلا ينهى عنه إذا كان حقا.

روى أبو هريرة أنهم قالوا: يارسول الله إنك تداعبنا، فقال: (إني وإن داعبتكم لا أقول إلا حقا) [9].

وإن العارفين بالله تعالى، كانوا يخافون من إفراط الألسنة في المزاج؛ لأنه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب، وتورث الضغينة في بعض الأحوال، ولأنه يشتغل المفرط فيه باللعب والهزل وقد قال "عمر بن عبد العزيز" رحمه الله تعالى:" اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة، ويجر إلى القبيح، تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال"، ولذلك قال "عمر بن الخطاب"τ: " أتدرون لم سمى المزاح مزاحا؟ قالوا لا، قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق السخرية والاستهزاء:

<u>الآفة الخامسة: السخرية والاستهزاء</u>

---

[1]() مريم: آية10.

[2]() مريم : آية 26.

[3]() كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين المتقي الهندي جـ557/3.

[4]() الحديث في صحيح البخاري وهو متفق عليه.

[5]() أخرجه ابن أبي دنيا من حديث قتادة مرسلا، ورجاله ثقات، ورواه هو والطبراني موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح

[6]() المدثر:آية 45

[7]() النساء: الآية140

[8]() الحديث متفق عليه، من حديث ابن مسعود.

[9]()أخرجه الترمذي، وحسنه .

معنى السخرية: الاحتقار والإستهانة، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وكله منعه الشرع قال الله تعالى:[**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ**][1]

الآفة السادسة: إفشاء السر، وإخلاف الوعد، والكذب في القول واليمين، وكل ذلك منهي عنه إلاّ ما رخص فيه من الكذب للزوجة، وفي الحرب، فإن ذلك يباح.

قالρ :(إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة) [2]

وقال الله تعالى لذلك[**إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ**] [3]وقال ρ: **(أربع من كن فيه كان منافقاومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)** [4]

الآفة السابعة: الغيبة والنميمة والبهتان والإفك:

من أخطر آفات اللسان التي يجب التنبه منها:

الغيبة: وهي أن تذكر أخاك بما يكرهه، إذا بلغه سواء كان نقصا في بدنه كالطول والقصر.. وما إلى ذلك، وإن كل ما يفهم منه مقصود الذم، فهو داخل في الغيبة، سواء كان بكلام أو بغيره، كالغمز والإشارة والكتابة بالقلم، فإن القلم أحد اللسانين.

وإن المستمع للغيبة شريك فيها، ولا يتخلص من إثم سماعها إلاّ أن ينكر بلسانه، فإن خاف فبقلبه وإن قدر على القيام، أو قطع الكلام بكلام آخر لزمه ذلك.

وقد تحصل الغيبة بسوء الظن، والظن ما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب، لأن من ثمرات سوء الظن التجسس، وذلك كله منهي عنه؛ قال الله تعالى[**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ**] [5]

وقد بين رسول الله ρ ذلك فيما رواه أبو هريرة: **(أن رسول الله ρ قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما تقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول؟ فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته)** [6]

ومن ثم فإن ذكر الغير ثلاثة: الغيبة، والبهتان، والإفك .

فالغيبة كما سبق: أن تقول ما فيه من حاله أو فعل، والبهتان: أن تقول ما ليس فيه. والإفك: أن تقول ما بلغك.

ومن ثم إن ما يسبب الشحناء، والغضب بين الناس غيبة القلب بسوء الظن، ولذلك قال الله تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا**].

ومصداقا لذلك قوله ρ : (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا).[7]

وعلى ذلك ومن الجدير بالذكر: قال الله تعالى: [**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**] [8]

إن الحكمة هي عمل، وقول، والقول الحكيم هو: الذي يدل على شاهد العقل – كما قال ووضح "زين العابدين" - τ. وإن السير الصالحة كلها، منذ أن خلق الله تعالى الأرض، من القول الطيب الصالح الحكيم كذلك ترجع إلى حكمة القول والفعل.

---

[1]()الحجرات: الآية10.

[2]()أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث جابر.

[3]()مريم : الآية:54.

[4]()تابع بتصرف: إحياء علوم الدين:جـ 3: من ص149:177_ وتابع: مختصر منهاج القاصدين:165:174 بتصرف.

[5]()الحجرات: آية 12

[6]()رواه مسلم في كتاب الأدب(باب تحريم الغيبة)2001/4.

[7]()أخرجه البخاري في الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد481/10.

[8]()البقرة: الآية269

ومن ثم نجد إشارة إمامنا بقوله كما سبق:" .. وتزين العامل بعقله حسن سيرته، في لسانه ولا قوة إلا بالله العلى العظيم". [1] ومن خير الكلام كلام الله تعالى في القرآن الكريم، وكل كلام كان على نهج القرآن الكريم والسنة من خير الأعمال أيضا.

ومن الجدير بالذكر هذه الرسالة العظيمة هو قول طيب، من عمل صالح بالكتاب والسنة.

3- حق السمع

قال الله تعالى : **[وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً]** [2]

إن السمع والبصر والفؤاد والعقل .. وكل ما فى الإنسان من حسم وروح وحياة أمانة سوف يسأل عنها ماذا فعل بها؟!

وإن حاسة السمع هامة جدا في تحريك النفس للطاعة، أو المعصية، هي السبب والباب الأول، في تحريك النفس؛ ولذلك حرص" زين العابدين" على حق السمع فقال:

" وأما حق السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقا إلى قلبك، إلاّ لفوهة كريمة، تحدث في قلبك خيرًا أو تكسب خلقًا كريمًا، فإنه باب الكلام إلى القلب، يؤدي إليه ضروب المعالي، على ما فيها من خير أو شر ولا قوة إلاّ بالله"[3].

ولأهمية السماع في تشكيل حالة القلب، إذا كانت النفس أمارة بالسوء: فلا تستهوي من السماع إلاَّ الذي يثير فيها الشهوة والمعصية.. وكل شر.

وعلى النقيض إذا وضعت في سماع حق: قبضت، وانزعجت فلا تستطيع سماعه؛ لأنه يكشف فيها حقيقة الباطل الذي تستهويه، قال الله تعالى: **[وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا]**[4] وقال الله تعالى: **[يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا]** [5]

وقال الله تعالى: **[صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ]** [6]

أما إذا كانت النفس لوامة، تميل إلى الحق، لكن تضعف إلى عمل الباطل؛ ولذلك كما سبق في هذه النفس خصمان متنازعان مما تسمعه وتشتهيه، وبين صوت الحق داخلها الذي يأمرها بالإمتثال للحق.

فإذا تركت في سمع الباطل، ضعفت واستكانت له، ومن ثم يجب أن لا تقرب من الأمكنة التي فيها من الباطل، حتى لا تضعف لسماعه، فمن الأولى لها أن لا تقرب ممن يقرب لها هذا السماع، الذي يبعدها عن الحق، ويضعف فيها إرادة السبيل إلى الحق.

أما النفس المطمئنة: هي على الأكثر التي تعودت، أن لا تسمع ولا تشتهي إلاّ كل ما هو سبيل لله تعالى، وما يغذي فيها وجد وحب الله تعالى.

وهذا يعلمه من تعود أن يسمع آيات الله تعالى، فلا تستطيع أذنه أن تطرب بشيء إلاَّ القرآن الكريم؛ ولذلك حرص إمامنا" زين العابدين" على السمع الذي يحدّث القلب بالعلوم، ويوسع مدارك العقل والوجدان في النفوس، ويسمع من الطبيعة صوت الحق.. وكل شيىء يسبح بحمده من قدرته وإبداعه وجماله سبحانه وتعالى، وعلى ذلك فالسماح للقلب محك صادق، ومعيار ناطق، فلا يصل نفس السماع إليه، إلاَّ وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه؛ وإذا كانت القلوب بالطباع، مطيعة للأسماع إذا انساقت لها النفوس، كشفت عن مساوئها، أو أظهرت محاسنها.

وكذلك فليزداد المسلم من سماع كل ما هو حق ليقربه من الحق جلاّ وعلا، هذا وقد أعطى للسمع حقه ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلى العظيم.

---

[1] ()الصحيفة:ص227

[2] ()الإسراء: آية 26

[3] () الصحيفة السجادية: ص228

[4] () لقمان: آية 7.

[5] ()الجاثية: آية 8.

[6] ()البقرة: آية171 .

4- <u>حق البصر:</u>

لقد أوجب الله تعالى غض البصر إلاّ لدرء مفسدة؛ لأنه يسبق الإنسان في المعصية، إذا لم يأتمر بغضبه، ويعتاد ذلك. فإذا كان اللسان(كما سبق) من أخطر الأعضاء في الإنسان، فالبصر أيضا لا يقل خطرا، ولا أثرا على الكلام المذموم؛ و من ثم أيسر للشياطين اختلاسه والتزيين له.

قال الله تعالى:**[قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ] .**[1] وقالρ: عن جرير بن عبد الله قال: **(سألت رسول الله ρ عن نظرة الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري).**[2] وعن أبي بريدة عن أبيه رفعه قال: **(يا على لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة)** [3].

وعلى ذلك نبه إمامنا " زين العابدين " في حق البصر قائلا:" وأما حق بصرك فغضه عما لا يحل لك، وترك ابتذاله إلاّ لموضع عبرة تستقبل بها بصرًا أو تستفيد بها علمًا فإن البصر باب الاعتبار"[4]

والإعتبار هو الرجوع إلى الحق، والتدبر في آيات الله تعالى، التي أمرنا أن ننظر إليها باعتبار التعقل مع النظر، لقوله تعالى: **[أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ.....].**[5]

5- <u>حق اليدين:</u>

إن اليدين آلة محركة لما في القلوب، تحركها النفس على حسب ماأرادت إذا كان لله تعالى، أو لهوى النفوس.

وقد سبق أن وضح إمامنا" زين العابدين " الأثر الكبير للسان، وكذلك السمع أو البصر على أفعال الإنسان، وقد تبين حقوق الإنسان فيهم.قالρ: **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)** [6]، فاليد هي الأصل من أصول الجوارح الفاعلة في الإنسان، ولذلك عليها من الحقوق كما لها من الحقوق؛ لقوله تعالى:**[إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]**[7]؛ ولذلك نبه إمامنا على حق اليدين علينا قائلا:" وإما حق يدك فأن لا تبسطها إلى مالا يحل لك، فتناله بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الأجل.

ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل، ولا تقبضها مما افترض الله عليها ولكن توقرها بقبضها عن كثير مما لا يحل لها، وبسطها إلى كثير مما ليس عليها؛ فإذا هي قد عقلت وسرفت في العاجل وجب لها حسن الثواب في الآجل"[8].

من الجدير بالذكر: في توضيح إمامنا بقوله:" .. فأن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك فتناله بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الأجل.."

أي يريد أن يعتاد المسلم، ويتخلق بهذا الخلق، وهذا لكي لا يبذل من المشقة في كل أفعاله ؛ لأن الخُلق منه ما هو طبيعي، أي فطري يولد الإنسان مزودا به، مما يرثه من أجداده، أو فطره عامة تشمل في أصل وجوده. لقولهρ: **(إن فيك خلتين يحبهما الله)**، قلت: وما هما يارسول الله؟ قال: **(الحلم والحياء)** قلت قديمًا أو حديثًا؟ قال: (قديمًا) قلت: الحمد لله الذي جبلني على خلقين أحبهما الله[9]. وفي رواية: **(إن**

---

[1]()النور: آية 30.

[2]()أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب نظرة المفاجأة2159/1699/3 والترمذي في كتاب الأدب، باب ما جاء في نظرة المفاجأة 5/ 101.

[3]() أخرجه الترمذي في كتاب الأدب، باب ماجاء في نظرة المفاجأة وقال حديث حسن صحيح 101/5.

[4]()الصحيفة: ص228.

[5]()يوسف: آية 109.

[6]()أخرجه الإمام أحمد في مسنده 404/3.

[7]()المائدة آية : 404/33.

[8]()الصحيفة السجادية: ص228.

[9]()روه البخاري في الأدب المفرد42/2.

فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة) قال: يارسول الله: أنا أتخلق بهما، أم الله جبلني عليهما؟ قال: **(بل الله جبلك عليهما)** قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله [1].

ومن الخلق ما هو مكتسب: ينشأ من التعود، والتدرب، والبيئة كالجبن، أو الشجاعة .

وهنا أراد الإمام أن يتخلق المسلم بأن لا يمد يديه إلاَّ إلى كل ما هو محمود في الشرع، حتى يصبر ذلك عادة خلقية.

وقفة في العمليات النفسية التي تسبق الفعل:

إن الخلق تسبقه عمليات نفسية يكون هو الخطوة الأخيرة لها:

1- **الخاطر:** هو أول ما يرد على قلب الإنسان، وهو حديث النفس، فنفس الإنسان تحدثه بأمور كثيرة، وقد يميل إلى أحدها.

2- **الميل:** فيحدث الميل: وهو توجه الإنسان لخاطر من خواطره يتصوره، ويدرك الغرض منه والغاية المترتبة عليه، فإذا تغلب ميل علي سائر الميول للإنسان، صار هذا الميل رغبة .

3- **فالرغبة:** هي في الأصل تغلب ميل على بقية الميول الموجودة في النفس الإنسانية، فإذا فكر الإنسان في هذه الرغبة، ودرسها دراسة واعية، وعزم عليها، أي جمع إرادته لها وقدرته لها صارت تلك الرغبة إرادة.

4- **الإرادة:** هي صفة النفس التي تخصص رغبة من الرغبات، التي مالت إليها النفس؛لكي تتحقق وتوجد، فإذا ما تكررت الإرادة صارت عادة.

5- **العادة :** هي الإرادة التي تتكرر، للفعل وتصدر عن حالة راسخة هي الخلق[2].

6- والخلق: هو لحالة للنفس داعية لها إلى أفعالها، من غير فكر ولا روية، هذه الحالة **تنقسم إلى قسمين:**

منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج(كما سبق)، ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر عليه أولا، فأولا حتى يصير ملكة وخلقا[3].

وهذا ما أراده إمامنا الخلق المحمود أو الفعل المحمود المستفاد بالعادة والتدرب، ممن يكتسب من العلوم الشرعية.

وعلى هذا فإن حركة اليد تابعة لحاسة البصر، وربما اللسان، فأوجب إمامنا زين العابدين أن يجاهد المسلم نفسه بقبضها إلاّ عن خير وإصلاح لمفسدة .

فربما يضعف البصر، فلا يستطيع المسلم غضه عن المعصية، فاندفع اللسان بالسب، لكن اليدين ربما إعتادت على عدم التسرع في هذه المعصية، فتكون سببا في كبح صاحبها عن الإفراط والتسرع. ولذلك أشار إمامنا بقوله : "أن توفر تعبك فى عمل يديك فيمالا نفع فيه فى الدنيا والآخرة، فعلم المسلم بصلاحه، وعمله به فى إكتساب الخير، وقبض يديه عن كل الشر، الذى حرمه الشارع الحكيم، هو فى ذاته راحة من تعب مشقة بسط اليدين فى الشر، وهو أيضًا له أجره العظيم فى الآخرة.

وعلى ذلك فالإنسان الحكيم هو الذى يتخلق بصفة الحلم، الذى به لا يتسرع، ويتدبر أموره ويتعقلها؛ ومن ثم هو الذى يوفر مشقة يديه، فى فعل عاقبته شرًا، وخسرانًا مبينًا.

وبذلك يذوق حلاوة طاعة الله ويعيش فى أمن وسلام.

6- حق الرجلين:

قال إمامنا "زين العابدين" فى حق الرجلين:" وأما حقُ رجليك فأن لا تمشى بهما إلى ما يحاُ لك ولا تجعلها مطيتك فى الطريق المستخفة بأهلها فيها؛ فإنها حاملتك وسالكة بك مسلك الدين والسبق لك، ولا قوة إلاَّ بالله".[4]

---

[1]()أخرجهما أبو داود في كتاب الأدب: باب في قبلة الرجل395/5.

[2]()تابع تفصيل ذلك: تأملات في فلسفة الاخلاق: د/ة منصور على رجب: ط الأنجلو المصرية ص88/ 90 (بتصرف)

[3]() تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف: ابن مسكويه : ط صبيح: ص31(بتصرف).

[4]() الصحيفة السجادية: 229.

من الجدير بالذكر كما سبق أن عفة اللسان، من ثمرة غض البصر، وإن السمع من تقوى النفس وبصيرة القلب.

ومن ثم فإن حركة اليد من ذلك كله، ويتبع ثمرة كل ذلك حركة الرجلين؛ قال ρ، عن أبى هريرة عن النبى ρ قال : (كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه). [1]

ومعنى ذلك: أن كل ذلك يؤدى إلى المعصية، إذا اشتهت تلك الشهوة، ولم تمنعها تقوى الله تعالى ومن ثم نبه إمامنا "زين العابدين" بوعى المسلم بحق الرجلين فى خطواتها: أن تكون لله تعالى، وكذلك تكون حصنًا لليدين والسمع والبصر، واللسان، عن المعاصى وكل شر.

فإذا تعودت النفس أن تمشى فى الخير، يصعب عليها ويشق فعل الشر.

7- حق البطن:

إن حق البطن من الحقوق الواجبة، على المسلم، بأن لا يدخل بها إلاَّ ما هو الحلال البيَّن، وكذلك أن لا يثقل عليها من الطعام؛ فهذا مدعاة للكسل، والداء، وأذى الشياطين.

وعلى هذا قال إمامنا "زين العابدين":

"وأما حق بطنك فأن لا تجعله وعاءً لقليل من الحرام، ولكثير أن يقتصد له فى الحلال، ولا تخرجه من حد التقوية إلى حدِّ التهوين، وذهاب المُرُوَّةِ وضبطه إذا هَمَّ بالجوع والظمأ، فإن الشبع المنتهى بصاحبه إلى التخم مكسلة، ومثبطة، ومقطعة عن كل بر وكرم.

وإنَّ الرى المنتهى بصاحبه إلى السكر مستخفة، ومجهلة ومذهبة للمروءة" .[2]

قال الله تعالى **: [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ].**[3]

وقال تعالى:**[وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ].**[4]

ومن ثم الواجب على المسلَم أن يتحرى الحلال، وأن يدقق فيما يدخل بطنه من طعام.

وكذلك واجب عليه أن يقتصد من الحلال، وهذا يخص البطن على وجه الخصوص، حيث جعل الله تعالى لها قدرًا محدودًا، وبه يصح الإنسان ويعيش، ويستطيع أن يحقق الحقوق الواجبة من الأفعال الأخرى.

ولذلك كتب الله تعالى، وفرض الصيام، وجعل فيه الخير للجسم، كما هو الخير للروح حيث إنه يغذى القلب والروح، ويصفو به الإنسان لمعرفة الله تعالى وعبادته.

قال الله تعالى: **[وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ].**[5]

وعلى ذلك:

أولاً : أن الصوم كف وترك، وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد؛ لأن جميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى، والصوم لا يراه إلاَّ الله عز وجل، فإنه عمل فى الباطن بالصبر المجرد.

ثانيًا: أنه قهر لعدو لله عز وجل، فإن وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب، ولذلك قالρ: **(إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع).**[6]

والصوم هو كف البطن، والفرج عن قضاء الشهوة، وهو أيضًا كف السمع والبصر واللسان، واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، وهو أيضًا صوم القلب عن الهمم الدنية، والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية.[1]

---

[1]() أخرجه مسلم فى كتاب، باب (قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره) 2047/4.

[2]() الصحيفة السجادية: ص2290.

[3]() النحل : آية 97.

[4]() النحل : آية 112.

[5]() البقرة: آية184.

[6]() الحديث متفق عليه، من حديث صفية رضي الله عنها.

وهنا يجب أن نقف مع إمامنا "زين العابدين" في بلاغة قوله، ووصفة في قوله:" فإن الشبع المنتهى بصاحبه التُخم مكسلةُ ومثبطةُ ومقطِعة عن كل برّ وكرم....".

فإن المقصر في حق نفسه هن المهين لحق بطنه، المقطع عن عمل البر والكرم.

ومن ثم والجدير بالذكر فإن من شهوات النفس الأمارة بالسوء: كثرة الطعام والشراب المضيع، لكل الخير من الصحة الحسية والروحية.

8- حق الفرج:

إن حق الفرج فيما حلله الله تعالى، والإبتعاد عن كل شبهة من الشبهات، التي تقرب المسلم من التفريط في هذا الحق.

ولقد سبق توضيح إمامنا "زين العابدين" لحق البصر، فهو الأصل في حفظ الفرج، قال الله تعالى:**[وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً]** [2] ولذلك قال إمامنا "زين العابدين": "وأما حق فرجك محفظة مما لا يحلُ لك، والاستعانةُ عليه بغض البصر، فإنه من أعون الأعوان، وكثرة ذكر الموت، والتهدد لنفسك بالله، والتخويف لها به، وبالله العصمة والتأييد، ولا حول ولا قوة إلاَّ به".[3]

ولذلك فكثرة الذكر لله تعالى، وتخويف النفس بذكر الموت، والدعاء يحفظ كل ذلك المسلم من التفريط فى حق الفرج، قال الله تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ [4].

وقال تعالى: [**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ....** الآية].

إن الله سبحانه تعالى جعل فى غض البصر الحفظ للفرج؛ ولذلك وضح ذلك إمامنا "زين العابدين" فى قوله السابق، بأن الدعاء من الأصول الإسلامية، التى تقوى المسلم على آداء الحقوق كما أمرنا بها الله تعالى، وبما يحبه ويرضاه، قال ρ: **(اللهم أسألك الهدى والعفاف والغنى)** [5].

ثالثًا: حقوق الأفعال:

إن الأفعال هى الأعمال، وتفضيلها فى كل عمل قام به المسلم.

ومن الجدير بالذكر أن الله سبحانه وتعالى حدد للإنسان ما يجب أن يفعل، وما يستحب منه، وما يكره، ويحرم.

فإذا امتثل المسلم بهذه الأفعال، فعليه من الحقوق الواجبة، من حيث نيته وإرادته منها، ولذلك وضح إمامنا "زين العابدين" أن الإخلاص، والصدق فى تلك الأفعال، من الحقوق الواجبة يوضح ذلك التالى:

1- حق الصلاة:

إن الصلاة عماد الدين، وعصام اليقين، وأول القربات قال تعالى: **[وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي]** [6]، وقال تعالى: **[قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ]** [7].

ومن الجدير بالذكر أن الإمام "على بن الحسين"، لم يتكلم عن حق فى رسالة الحقوق إلاَّ وله من الواقع فى أفعاله كلها، فكما سبق روى عنه أنه كان إذا توضأ أصفر لونه فيقول له أهله: "ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء؟ فيقول:" أتدرون بين يدى من أقوم؟"[8]

ولذلك كما روى عن الإمام على كرم الله وجهه "إذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء، ثم قرأ **[فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ]** [9]".

---

[1]() تابع إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالي: جـ1: ص352: 356 (بتصرف).

[2]() الإسراء: آية 32.

[3]() الصحيفة السجادية: ص230.

[4]) النور آية 30.

[5]) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد 2/ 128.

[6]) طه: الآية 14.

[7]) المؤمنون: الآيتين 2،1.

[8]) إحياء علوم الدين: حـ 1: ص 232.

[9]) الدخان: الآية 29، تابع إحياء علوم الدين: ط: ص 233.

لذلك لقد نبه إمامنا "زين العابدين" أن الصلاة عبادة، لإعادة، فقال: "فأما حق الصلاة فأن تعلم أنها وفادة إلى الله، وأنك قائم بها بين يدي الله؛ فإذا علمت ذلك كنت خليقًا، أن تقوم فيها مقام الذليل الراغب، الراهب الخائف، الراجى، المسكين، المتضرع، المعظم".

من قام بين يديه بالسكون، أو الإطراق، وخشوع الأطراف، ولين الجناح وحسن المناجاة له فى نفسه، والرغبة اليه فى فكاك رقبتك التى أحاطت بها خطيئتك، وأستهلكتها ذنوبك ولا قوة إلا بالله"[1]

يتبين من قوله:

أولًا: حق الصلاة أن أضع فى بؤرة الشعور، وأستحضر قلبي بأنى بين يدى الله تعالى فكلما صدق المسلم فى استحضار قلبه حين الصلاة، سواء كانت فرضًا او نفلًا أو تطوعًا، وأنه بين يدى الله تعالى فعلًا، غابت نفسه فى ذكر الله تعالى.

ثانيًا: حينئذ قام مقام الذليل، الراغب الراهب والخائف، الراجى المسكين، المتضرع.

ثالثًا: والمعظم من قام بين يديه بالسكون، وخشوع الأطراف، وحسن المناجاة له فى نفسه مع الرغبة إليه فى فكاك رقبته من النار.

روى عن الأمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل، ويتلون وجهه فقيل له: مالك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: "جاء وقت أمانة، عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها".

ولذلك فشرط الصلاة حضور القلب، والتفهم من الله تعالى فى ذكره، مع التعظيم، والهيبة بين يدى الله تعالى، والرجاء والحياء .. وهكذا لا يشغله عن الله عز وجل من شاغل؛ ولذلك قيل أنه لا يكفى حضور القلب مع القراءة، ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب بالهيبة والخوف والرجاء كما سبق، وهذا المقام يتفاوت الناس فيه، على حسب درجات العلم والفهم من الله تعالى؛ ومن ثم فإن الخوف منشؤه التعظيم، والتعظيم لله تعالى يثمر حالة الهيبة التى سبق شرحها، فى حالة الإمام على بن أبى طالب، وإمامنا "زين العابدين" وهكذا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، كانت لهم من الأحوال الهيبة والإجلال لله تعالى، وخاصة حين الصلاة وحضورها.

2- <u>حق الحج:</u>

كما سبق فى حق الصلاة، هكذا فى حق الحج الأساس والأصل فيه هو: استحضار القلب لمفهوم الحج، فقال إمامنا "زين العابدين": أن تعلم أنه وفادة إلى ربك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذى أوجبه الله عليك".[2]

قال ρ :" من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"[3]

قال الحسن τ :" من مات عقيب رمضان أو عقيب غزوة أو عقيب حج مات شهيدًا"[4]

3- <u>حق الصوم :</u>

لقد سبق فى حق البطن أهمية الصوم فى صفاء النفس، فإنما تقوى الشهوات بالإسراف فى الأكل والشرب؛ ولذلك قال ρ :"إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع"[5]

ولذلك فالصوم من أعظم القربات لله تعالى، وهو جُنه، فإن الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله ρ: "الصوم نصف الصبر"[6]، وبمقتضى قوله ρ: "الصبر نصف الإيمان"[7]

ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى، من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ρ :" كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلاَّ الصيام فإنه لي وأنا أجزى به "[8]

([1]) الصحيفة السجادية: ص 230.

([2]) سيدنا زين العابدين: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود: ط دار المعارف: ص 136.

([3])الحديث من رواية أبي هريرة، أخرجاه البخارى ومسلم.

([4])إحياء علوم الدين : ط1: ص366.

([5])الحديث من رواية صفية، ومتفق عليه.

([6])أخرجه الترمذى، وحسنه من حديث رجل من بنى سليم، وابن ماجه من حديث أبي هريرة.

([7]) أخرجه أبو نعيم فى الحلية، والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن.

([8]) أخرجاه البخارى ومسلم، من حديث أبي هريرة.

والصوم نصف الصبر، فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب، ولقدر الصوم ومكانته قال أمامنا "زين العابدين"" "وأما حقُّ الصوم فأن تعلم أنه حجابٌ ضربه الله على لسانك، وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك؛ ليسترك به من النار، وهكذا جاء فى الحديث الصوم جنةٌ من النار" فإن سكنت أطرافُك فى حجبتها رجوت أن تكون محجوبًا. وإن أنت تركتها تضطرب فى حجابها، وترفُع جنبات الحجاب فتطلع إلى ما ليس لها بالنظرة الداعية للشهوة، والقوة الخارجة عن حد التقية لله، لم تأمن من أن تخرق الحجاب وتخرج منه ولا قوة إلاَّ بالله"[1]

فإذا أحسن المسلم صومه، كان حجابًا يحجبه عن المعاصى على اللسان بالصمت عن كل ما يفسد الصوم، والسمع والبصر، والفرج، والبطن... كما سبق، فإذا سكنت الأطراف، والأعضاء فى حجبتها بالصوم، يثمر صيامه الحكمة العظيمة من الصوم، فى تطهير النفس والجوارح.

أما إذا اخترق حجاب الصوم، إن ترك الصائم مثلاً اللسان يفعل ما يفسد الصوم، فلا معنى لحكمة الصوم فى فرضه الله تعالى على الإنسان.

فكما أن الصوم كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة، هو أيضًا كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل، وسائر الجوارح عن الآثام.

وإن هذا يحققه الصوم إذا عمل الصائم بأركان الصوم وشروطه؛ ومن ثم يثمر ذلك كله صوم القلب عن الهمم الدنية، والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية.

وكما سبق ذكر إمامنا "زين العابدين": ما رواه عنه ρ :"إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم"[2]

فالواجب كما نبه إمامنا "زين العابدين" أن يجمع الصائم إرادته فى منع نفسه أن تخرق حجاب الصوم، ومن رأى فى نفسه من الضعف فليكثر من ذكر الله تعالى والاستغفار، فى يومه كله .

4- <u>حق الصدقة:-</u>

قال الله تعالى **:[إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ]**[3]، ولهذا تصدق أبو بكر τ بجميع ماله وعمر τ بشطر ماله، فقال ρ :"وما أبقيت لأهلك؟" فقال: مثله وقال لأبي بكر τ :" ما أبقيت لأهلك؟"[4] قال : الله ورسوله.

ويعنى ذلك أن الزكاة والصدقة أيضًا من العبادات التى تدل على التوحيد، وحب الله تعالى، وخلق الإيثار الذى يتحلىَّ به المؤمن، وهو من صدق ما عاهد الله تعالى عليه؛ ومن ثم وضح إمامنا "زين العابدين" قائلاً: " وأما حق الصدقة فأن تعلم أنها ذخرك عند ربك، ووديعتك التى لا تحتاج إلى الإشهاد فإذا علمت ذلك، كنت بما استودعته سرًا، أوثق بما استودعته علانيةً.

وكنت جديرًا أن تكون أسررت إليه أمرًا أعلنته، وكان الأمرُ بينك وبينه فيها سرًا على كل حال، ولم تستظهر عليه فيما استودعته منها، بإشهاد الأسماع والأبصار عليه بها، كأنها أوثق فى نفسك، لا كأنك لا تثق به، فى تأدية وديعتك إليه.." [5]

لقد حرص فى حق الصدقة الأولى فيها أن تكون سرًا، فهى كما قال :" أوثق من العلانية"، ويدل ذلك على عزمه وصدقة لله تعالى.

كما أن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة، وهذا لقوله ρ: "فى الحديث المشهور: "سبعة يُظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شِمالُهُ بما أعطت يمينه"[6]، ولذلك قال بعض العلماء: " من كنوز البر: منها إخفاء الصدقة؛ وهذا لأن التزام المتصدق لله تعالى أن تكون صدقته سرًا، هو لعلمه بما عند الله تعالى أوثق من الدنيا، وما فيها كما أشار إمامنا "زين العابدين".

([1]) الصحيفة السجادية: ص230-231.

([2]) الحديث من رواية أبي هريرة، أخرجاه البخاري ومسلم.

([3]) التوبة: الآية111.

([4]) أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم، وصححه من حديث ابن عمر.

([5]) الصحيفة السجادية: ص231.

([6]) من رواية أبى هريرة، أخرجاه البخارى ومسلم.

لكن عندما يستظهر ذلك، لترغيب الناس فى الاقتداء به، قال الله تعالى: **[إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ]**[1]

أو أن السائل سأل فى جمع من الناس، وهذا أيضًا لقوله:**[أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً]**[2] ومن ثم فنية المتصدق وصدقه وإخلاصه لله تعالى: أن تكون عمله لله تعالى، فعلانية الصدقة إذا اضطر لذلك ففيها من التذكير والترغيب لغيره من الناس.

ولذلك نبه إمامنا "زين العابدين" فى حق الصدقة على تحريم المنِّ بها وذكرها قائلاً:"..... ثم لم تمتن بها على أحدٍ لأنها لك، فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون مثلُ تهجين حالِك منها إلى من مننت بها عليه؛ لأن فى ذلك دليلاً على أنك لم تُرد نفسك بها، ولو أردت نفسك بها لم تمتن بها على أحد، ولا قوة إلاَّ بالله"[3]

إن ما يظهر عدم الصدق والإخلاص لله تعالى فى الصدقات هو المنُ بها والأذى. لقوله تعالى:**[لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى]** فقيل المنّ: أن يذكرها، والأذى: أن يظهرها، ويعيره بها.

فأصل هذا الأذى: أن يرى المتصدق نفسه محسنًا إليه، ومنعمًا عليه، والأصل وحق الإيمان الصادق نقيض هذا المعنى، وهو أن يرى الفقير الذى أخذ منه الصدقة: هو المحسن إليه بقبول حق الله عز وجل، منه الذى هى طهرته، ونجاته من النار.

فأيهما أحسن وأكبر صدقته القليلة إلى تصدق بها ؟! أم تطهيره ونجاته من النار؟!! طبعًا لا قياس بينهما! .

ومن ثم الجدير بالذكر: نبه إمامنا فى كل حقوق ذكرها :أن يستحضر المسلم بقلبه الحقوق، كى يعيش فيها، فلو وضع المتصدق أهمية هذا القليل من الصدقات، ماذا يكون له فى الآخرة، لأثر هذا الحق على نفسه، ولم يبق إلاّ القليل الذى يكفيه لحوائجه.

وأشير أنه ذكر "حق الصدقة"، وليس "حث الزكاة"؛ هذا لحرصه على أن تشتمل الصدقات فى حياة المسلم وأهميتها فى التطهير وتزكية النفس.

5- <u>حق الهدى</u>

الهدى: هو معرفة الحق جل وعلا، والهداية في طريقه.

قال ابن مسعود τ: خط لنا رسول الله ρ خطًا، قال: (هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه، وعن يساره، وقال: هذه سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه)، ثم قرأ قوله تعالى:**[وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ].** [4] وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ولا يصل إليه أحد إلَّا من هذا الطريق، ولو أتى الناسُ من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، فالطريق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة، إلَّا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله، موصل إلى الله، قال الله تعالى:**[هذا صراط على مستقيم]**[5].

ولذلك فإن الهداية إلى معرفة الحق تقتضي العمل، والإخلاص والصدق فيه، بحيث إذا عرف عقل الإنسان الله سبحانه وتعالى، فينبغي على الجوارح الاقتضاء بشريعته، وعلى القلب الإيمان، واليقين.

ومن ثم الجدير بالذكر أراد إمامنا "زين العابدين" أن يوضح في رسالته للحقوق أن كل جارحة في الإنسان ينبغي لها أن تهتدي إلى الحق.

وتعمل بما تقتضيه الشريعة والحقيقة، في طريق الحق المستقيم؛ ولذلك قالτ :" أما حق الهدى فأن تخلص بها الإرادة إلى ربك، والتعرض لرحمته وقبوله، ولا تريد عيون الناظرين دونه فإذا كنت كذلك لم يكن متكلفا ولا متصنعا، وكنت إنما تقصد إلى الله ".

([1]) البقرة: الاية 271.

([2]) فاطر: الآية29، الرعد: الآية32.

([3]) الصحيفة السجادية: ص231.

([4])الأنعام: الآية153.

([5])الحجر: آية 41. 3 تابع مدراج السالكين: ابن القيم الجوزية: جـ1:ص21(بتصرف).

فأراد إمامنا أن ينبه على الإخلاص في تربية الإرادة، وتقويتها أن تكون لله تعالى، الواحد الأحد، في سبيله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى: **[وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ]**[1]. وقال الله تعالى لنبيه**[:ρ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ]**[2].**ولذلك قيل عن الإخلاص:** هو إفراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد في الطاعة.

وقيل: أن لا تطلب على عملك شاهدا غير الله، ولا مجازيا سواه[3].

وعلى ذلك فإن حق الهدى في **الإخلاص**: **والإخلاص** هو: تصفية العمل من كل شوب، أي لا يمازج العمل أي شوب، من شوائب أهواء النفس؛ كطلب المدح، والتعظيم.

وإن ما أشار إليه "زين العابدين" أن التكلف والتصنع، من حيث العمل غير خالص لله تعالى، فالذي يُخلص العبد من هذه الآفة معرفة ربه، وإخراج رؤية العمل عن العمل ورضاه عن نفسه وفرحته بها، ومن ثم فإن عمله لم يخرج من شوب رؤية الناس له، والتزين، وحب المدح .. وخلافه.

ولهذا أذكر من قول العارفين بالله تعالى في هذا الشأن قولهم: " أن آفة العبد رضاه عن نفسه، ومن نظر إلى نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها[4].

فكلما كان نظرة المسلم لتقصيره، وآفاته وعيوبه، وسدد ذلك بكثرة الذكر والاستغفار، والعمل لله تعالى، خرج بذلك عن التصنع والتكلف، وأقام في مقام الإخلاص لله تعالى ومعرفته سبحانه وتعالى".

6- **عامة الأفعال:**

من الجدير بالذكر أن إمامنا" زين العابدين" τذكر الأسس في الأفعال أولا "كما سبق": الصلاة، والصوم، والحج، والصدقة؛ ومن ثم فإن هذه الأفعال يتفرع منها أخرى هي " عامة الأفعال" التي يفعلها الإنسان في حياته، فإذا استقامت أسس الأفعال، تتبعتها في الحقوق عامة الأفعال الأخرى، وقد نبه فيها إمامنا على عدم التكبر ورؤية النفس فيها، حيث قال:

"واعلم أن الله يراد باليسير، ولا يراد بالعسير كما أراد بخلقه التيسير، ولم يرد بهم التعسير وكذلك التذلل أولى بك من التدهقن؛ لأن الكلفة والمؤنة في المتدهنقين.

فأما التذلل والتمسكن فلا كلفة فيهما، ولا مؤونة عليهما لأنهما الخلقة، وهما موجودان في الطبيعة ولا قوة إلا بالله[5].

وهذا مصداقا لقوله تعالى:**[يرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ]**[6].

فأراد الإمام أن يبين أن في أصل حقوق الأفعال الشرعية هي: التيسير، ولذلك فإن التعسير في حقيقته هو الصفات المذمومة في النفس من التكلف، والنفاق.. وكذا سائر المذموم من النفس.

وقد أشار الإمام إلى أن التذلل، والتمسكن؛ لأن حقيقة النفس هو الفقر والحاجة وأن الإنسان لا يملك شيئا قال الله تعالى:**[يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ]**[7]. ومن ثم فلا كلفة للإنسان، أن يعرف حقيقته، ويفعل ما يقتضيه ذلك في عامة أفعاله.

رابعا: حقوق الأئمة:

لقد قسم إمامنا" زين العابدين" هذه الحقوق إلى ثلاثة من الأئمة: السلطان، والعلم، والملك.

وقد بدأ بالأعم والأشمل؛ على رغم من أثر المعلم على المتعلم وما عليه من حقوق؛ وهذا كما يتبين للأهم فالمهم، من حيث الأمن والسلام في البلاد، وما يعم الناس ذلك ؛ ومن ثم فحقه في النصيحة والطاعة في سبيل الله تعالى، يبين ذلك التالي:

([1])البينة: الآية 5

([2])الزمر: الآية 14-15.

([3])مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية: جـ2: ص 95.

([4])تابع مدارج السالكين: جـ2:ص99.

([5])الصحيفة السجادية:232.

([6])البقرة:آية185.

([7])فاطر:آية15.

1- حق سائسك بالسلطان:

في الواقع، من الجدير بالذكر من علم ومعرفة إمامنا "زين العابدين" بربه، وبصيرته قال:

" فأما حق سائسك بالسلطان فأن تعلم: أنك جعلت له فتنة، وأنه مبتلى فيك، بما جعله الله له عليك من السلطان.." .[1] وهذا لأن هذا السلطان، في حقيقة أمره،لأنه قد ابتلى ببلاء قد يحجب نفسه عن رؤية الحق، ويفتتن بهذا السلطان في البلاد والناس؛ ولذلك فعلم المحكوم بأمره ذلك، فعليه من حقوق هامة جدا أوضحها الإمام قائلا: **" إن تخلص له في النصيحة، وأن لا تماحكه، وقد بُسطت يده عليك فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه، وتذلل و تلطف لأعطائه الرضى ما يكفه عنك، ولا يضر بدينك وتستعين عليه في ذلك بالله.."**.[2]

وينبه إمامنا عن أمرين مهمين:

الأول: الإخلاص في النصيحة لله تعالى للسلطان أو الحاكم له.

الثاني: أن لا يماحكه، أي لا يظهر له تلك الحقيقة، ويخفي عنه ما يجب له نصحه، فذلك من النفاق والجبن، وهما من المذموم من أخلاق المؤمن بالله تعالى.

ومن ثم فإن ذلك السبب الذي من وراءه فسدت بلاد وهلكت شعوب، والجدير بالذكر أن "زين العابدين" قد نبه على أخطر الأمور التي تحدث وهو النفاق والتعظيم لنيل رضاهم، على حساب الحقوق لكن إذا أدى ما عليه من نصح، فلا ضير عليه، ومن ثم قال:

".. ولا تعازه ولا تعانده فأنك إن فعلت ذلك عققته، وعققت نفسك فعرضتها لمكروهة، وعرضته للهلكة فيك، وكنت خليقا أن تكون معينا له نفسك، وشريكا له فيما أتى إليك ولا قوة إلا بالله."

وقد أشار الإمام أن لا يعانده، ويتعرض له بحيث أن يُخرج منه الذي يضر بدينه، ويهلكه، فإن لمّا لم يستنصح بالنصح، فلا يجب أن يعينه بعناده، وكبره أن يفعل بسلطانه عليه ما يهلكه، ويضره في دينه ومن ثم نبه الإمام بأن يستعين بالله تعالى عليه، ولا قوة إلا بالله، وأن لا يتسبب بفتن، وسفك للدماء.

وقفة في عظمة رسالة الحقوق:

لقد حرص إمامنا τأن يكون قلب المسلم سليما، في كل أحواله، وأن لا يكره شيئًا إلَّا الأفعال المذمومة في الظالم لا شخص الظالم لأنه على الدوام يجعل له الحق عليه في النصيحة، والسبب في هدايته، بل أجد أنه قد يحمل نفسه الوزر والمشقة،أنه لم يقدم له النصيحة كما تجب؛ ولذلك ما أعظم قوله عندما قال".. **وعرضه للهلكة فيك وكنت خليقا أن تكون معينا له على نفسك وشريكا له فيما أتى إليك"**[3]**كما سبق.**

وصدق الله تعالى فيهم **[وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً]**.[4]

2- حق المعلم:

من الأمر الواجب، والبديهي حق المعلم على المتعلم؛ فإذا ذكر إمامنا "زين العابدين" حق السلطان في النصح فالمعلم في حقوقه أجل وأعظم، ولذلك:

" وأما حق سائسك بالعلم، فالتعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه والمعونة له على نفسك فيما لا غنى بك عنه من العلم..". [5]

لقد ذكر إمامنا الآداب الهامة التي يتحلى بها المتعلم للمعلم:

أولا: التوقير والتقدير له إلى حد التعظيم لشخصه من حيث علمه، وقدر معرفته بربه.

ثانيا: أن يجاهد نفسه في حسن الاستماع، والحرص على مجلسه.

([1])الصحيفة السجادية:232.

([2])الصحيفة السجادية:ص233/232.

([3])الصحيفة:ص233.

([4])الفرقان: الآية:63.

([5]) الصحيفة السجادية:ص233.

ثالثا: أن يجاهد نفسه بجمع كل طاقته وإرادته، بأن يفرغ نفسه وعقله وفهمه، في اكتساب العلم منه؛ ولذلك عبر إمامنا بقوله **"وتجلى له بصرك بترك اللذات"** أي فيما يشغله ويصرفه عنه، فما أبلغ تعبير الإمام في تجليه البصر في طاعة الله تعالى وترك ما يصرفه؛ عنه في اكتساب العلم.

رابعا: مسئوليته في حمل أمانة العلم وتوصيله من المعلم إلى غيره من أهل الجهل، وسوف يسأل عنه عن هذه الأمانه فإن هذه المسئولية عظيمة.

3- حق المالك:

لقد أراد إمامنا "زين العابدين" بحق المالك هو السائس بالملك، وهو من جنس حدس السائس بالسلطان، ولكن أراد أن ينبه له من الحقوق أيضا، وخاصة فيما يخصه عن السلطان، وهذا يدل على أن الإمام لم يترك في رسالته من حقوق الآئمة الواجبة، يوضح ذلك التالى:

وأما حق سائسك بالملك فنحومن سائسك بالسلطان، إلا أن هذا يملك ما لا يملكه ذاك: تلزمك طاعته فيما دق وجل منك، إلَّا أن تخرجك من وجوب حق الله، ويحول بيتك وبين حقه وحقوق الخلق فإذا قضيته رجعت إلى حقه فتشاغلت به ولا حول ولا قوة إلا بالله." [1]

كما سبق في حق السلطان في النصح والإرشاد، كذلك هنا لكن أراد إمامنا أن ينبه أن الطاعة لهذا المالك فيما دق وجل كما ذكر، إلا أن تكون في حق الله تعالى، عندئذ يجب الخروج عن طاعته.

وكذلك فيما يتعلق بحقوق الخلق، فقال:**"..فتشاغلت.."** أي في العمل في حق الله تعالى، وحقوق الخلق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

خامسا: حقوق الرعية:

في الواقع إمامنا "زين العابدين" قد بدأ الحقوق "كما سبق" بالرعية على السلطان، وبالمتعلم على العالم، .. ثم ذكر τ هنا: ما يجب على السلطان في رعيته من حقوق، وما يجب على العالم من حقوق في حق المتعلم، ثم ذكر الزوجة من حيث ما يجب على الرجل في رعايتها، ..يوضح ذلك التالى:

1- حق الرعية:

إن الجدير بالذكر في توضيح إمامنا ما يجب على السلطان أو الحاكم في رعيته، حيث نبّه على مدى فتنة هذا السلطان، واختباره وحمله للأمانة فيما أعطاه الله تعالى من عز وسلطة، وقدرة وهيمنة للأمر.

وعلى جانب آخر: ضعف الرعية، وذلّهم، وحكمه النافذ عليهم، قال الله تعالى: **[قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ].**[2] **ومن ثم ليعلم أن الملك لله تعالى، وأنها أمانة فعليه حقوقها، حيث قال:**

" وأما حق رعيتك بالسلطان: فأن تعلم أنك إنما استرعيتهم، بفضل قوتك عليهم، فإنه إنما أجلهم محل الرعية لك ضعفهم وذلهم، في أولى من كفاكه ضعفه وذله، وحتى صيرهُ لك رعيةً وصير حكمك عليه نافذا، ولا يمتنع منك بعزة ولا قوة، ولا يستنصر فيما تعاظمه منك إلَّا بالله بالرحمة، والحياطة والأناة، وما أولاك إذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزة والقوة، التي قهرت بها أن تكون لله شاكرا، ومن شكر الله أعطاه فيما أنعم عليه ولا قوة إلا بالله".[3]

لقد أوجب الإمام على كل من ولاه الله تعالى أمرًا أن يعدل مع رعيته، وأن يتحلى بالصبر، والحلم والرحمة، ولا يستعز بعز هو في الأصل فآن، فإذا رأى من رعيته الطاعة، والضعف فلا يستنصر منهم بما تعاظم عليهم، وليتذكر نعمة الله تعالى عليه، وليشكره سبحانه تعالى، ليهديه إلى سواء السبيل وليحفظ له تلك النعمة قال الله تعالى:**[قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ]**. [4] وخلاصة الأمر: أن يتمثل برسول الله ρ في تدبير شئون رعيته.

2- حق المتعلم:

([1])الصحيفة السجادية :ص234.

([2])آل عمران: آية 26.

([3]) الصحيفة السجادية ص234.

([4])النمل: آية: 40.

الجدير بالذكر أوجب إمامنا "زين العابدين" على العالم في رعيته من العلم قائلا:"..فإن تعلم أن الله قد جعلك لهم فيما أتاك من العلم، وولاك من خزانة الحكمة، فإن أحسنت فيما أولاك الله من ذلك وقمت به لهم مقام الخازن الشفيق الناصح لمولاه، في عبيده الصابر المحتسب، الذي إذا رأى ذا حاجة أخرج له من الأموال التي في يديه، كنت راشدا.وكنت لذلك أملا معتقدا، وإلَّا كنت خائنًا، ولخلقه ظالمًا ولسلبه وغيره متعرضًا. كان حقًا على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهاءه، ويسقط من القلوب محلك"[1].

لقد نبه إمامنا "زين العابدين" على العالم:

أولا: أن يعلم أن ما حمله من علم هو أمانة الله تعالى عنده، إما أن يكون الأمين، والناصح المحتسب الأجر عند الله تعالى، وإما أن يكون الخائن، والظالم لنفسه ورعيته من العلم أي لا تهاون فعلى قدر العلم على قدر الجزاء عليه: إما أمينا أو خائنا. فالأمر خطير فعلا، فيجب عليه أن يكون قدوة لما يدعو له.

ثانيا: أن عطاء العالم على وجه الخصوص هو لله تعالى، وهذا ليس في العلم فقط، وإن كان العلم هو الأصل، ولكن في كل عطاء حسي أيضا، فيجب عليه كذلك أن يتحلّى بكل قيم وأخلاق العلماء من الحلم والصبر والحكمة في الإرشاد والنصح.

فإذا رأى العالم ذا حاجة يجب أن يسبق الناس في العطاء من أمواله؛ ليكون بحق القدوة الراشد لرعيته، ولذلك فإن حياة العالم بين الناس، ممدودة إلى ما شآء الله تعالى، بعلمه وقيمته وقيمه وأخلاقه وحب الناس له.

ثالثا: لقد أشار إمامنا أن أصل العلم هو ما وهبه الله تعالى، ورزقه لعباده، أما ما يقوم به المتعلم من اكتساب للعلوم هو فقط كالذي يقوم بغرس الأرض للزراعة، أما إخراج الثمرات فهي رزق الله تعالى. قال تعالى:**[وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً]**[2]. ومن ثم يجب أن يعلم العالم فضل الله تعالى عليه، ويرتفع بعطاءه من العلم لله تعالى، ولا يخلد بعلمه وينزل به الأرض، بأغراض وأهواء نفسية.

3- <u>حق الزوجة:</u>

قال الله تعالى:**[هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا].(3)** إن أصل الحياة الزوجية، هي المرأة الصالحة، التي جعلها الله تعالى سكنا ومودة ورحمة. ولذلك نبه إمامنا أن يتذكر الرجل تلك النعمة، ويحسن صحبتها ويقضي ما عليه من حقوق، حيث قال:

" وأما حق رعيتك بملك النكاح فأن تعلم أن الله جعلها سكنا ومستراحا وأنسا، وواقية.

وكذلك كل واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه، ويعلم أن ذلك نعمة منه عليه.

ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله، ويكرمها، ويرفق بها. وإن كان حقك عليها أغلظ، وطاعتك لها ألزم، فيما أحببت وكرهت، ما لم تكن معصيه، فإن لها حق الرحمة، والمؤانسة، وموضع السكون إليها قضاء اللذة، التي لابد من قضائها، وذلك عظيم ولا قوة إلا بالله ".[4]

من الجدير بالذكر: لقد نبه إمامنا "زين العابدين" عن حق المرأة، وشدد في ذلك؛ وإن كان كما قال حق الرجل عليها أغلظ من حيث الطاعة، إلَّا في معصية الله تعالى؛ هذا يرجع إلى طبيعة المرأة من حيث ضعفها؛ وكذلك لأن الله تعالى جعلها سكنًا وأنسًا ونعمةً، يجب أن يحمد الله تعالى عليها بأن يحسن صحبتها، ويكرمها، ويرفق بها. ومن ثم فلا سكن للرجل إلَّا مع المرأة الصالحة.

4- <u>حق الملوك:</u>

أشير أن مفهوم الملوك بوجه عام من الممكن فى عصرنا أن يطلق على الإنسان الضعيف المقهور، والفقير، والذى هو عمله فى خدمة الناس

في الماضي كانت العبيد أما في عصرنا هو ما يقوم مقامه من الضعف؛ ولذلك قال τ :

" وأما حقه رعيتك بملك اليمين، فأن تعلم أنه خلق ربك ولحمك ودمك وأنك تملكه.لا أنت صنعته دون الله، ولا خلقت له سمعًا، ولا بصرًا ولا أجريت له رزقًا، ولكن الله كفاك ذلك بمن سخره لك، وائتمنك

([1])الصحيفة السجادية: ص23.

([2])الكهف: الآية: 65.

([3])الأعراف: الآية 189.

([4])الصحيفة السجادية:ص235.

عليه، واستودعك إياه لتحفظه فيه وتسير فيه بسيرته، فتطعمه مما تأكل وتلبسه ولا تكلفه مالا يطيق، فإن كرهته خرجت إلى الله منه، واستبدلت به، ولم تعذب خلق الله إلا بالله." [1]

من الجدير بالذكر في قول إمامنا" زين العابدين" في حق المملوك أو الضعيف:

أولا: وصفه بالمملوك بأنه لحمك ودمك وأنك تملكه" فكيف يتعامل الإنسان إذن مع جسمه!!؟

سبحان الله تعالى في مدى حق العبد على السيد، كحق الإنسان في جسمه، وماذا يعطي لنفسه من حقوق؟! ويخاف على جسمه!

ثانيا: في الواقع نبه إمامنا المالك لهذا العبد، بقوله أن الحقيقة أنك لا تملكه، ولا تستطيع أن تملكه؛ لأنك لم تصنعه دون الله تعالى، ولا خلقت له سمعًا ولا بصرًا ولا أجريت له رزقًا".

والحق الذي يجب عمله.أنه أمانة سوف يسأل عنها، وأن نعمة يجب أن يشكر الله تعالى عليها بأن سخره له وجعله في خدمته.

ثالثا: لقد أشار الإمام أن كره السيد للمملوك لا يبرر أن يظلمه، بأي من أفعال الجور.

ومن الجدير بالذكر ما نبه عليهτ يجب أن يكون ذلك سلوكًا للمسلم القوي عندما يملك أو يكون تحت سيطرته ضعيفا من الناس.

<u>سادسا: حقوق الأرحام:</u>

قيل أن الأرحام: كل قريب ليس بذي فرض ولا عصبة.

من الجدير بالذكر في حكمة إمامنا" زين العابدين": أنه قد قدم حقوق الرعية على الرغم أن حقوق الإرحام هي الأقرب والأولى، وهذا ليس بغريب من أخلاق إمامنا، التي هي مرجعها لأخلاق المصطفى ρ.فالضرورة والبداهة أن الإنسان يحسن أولا للأقرب له، وهو الأرحام، والأقرب فالأقرب، سواء كان ذلك يحب أو يضطر لذلك؛ وذلك لوجوبه علىّ.

أما الرعية فيها من الإختيار، والأهواء النفسية، التي قد يتأثر بها في عمله لتلك الحقوق، فيفعل نقيض ما يجب عليه.

ومن ثم لقد بدأ إمامنا بها؛ لكي يعلم المسلم أنه يجب أن ينتبه لرعيته، كما ينتبه لذي رحمه يوضح ذلك التالى:

1- **<u>حق الأم</u>**:

قال الله تعالى: **[وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً].** [2]

عن أبي هريرة τ - قال: جاء رجل إلى رسول الله ρ فقال: يا رسول الله (من أحق الناس بحسن صحابتي؟ فقال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال أمك قال: ثم من؟ قال: أبوك)[3].

إن طاعة الأم، وحبها فطرة، ينشأ عليها الطفل، ويشب عليها، وعندما نرى خلاف ذلك، فأمر هذا العاق بلغ عصيانه من الخطورة، ما يجعله أن يقلع عن هذا العصيان، ويرجع إلى طاعة أمه والاستغفار، لقد وضح ذلك إمامنا قائلا:

" فحق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحدُ أحدًا.وأطعمتك من ثمرة قلبها، مالا يُطعم أحدٌ أحدًا.

وأنها وقتك بسمعها وبصرها ويدها ورجليها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة بذلك فرحة..محتملة لما فيه مكروهها، وألمها، وثقلها وغمها حتى دفعتها عنك يد القدرة، وأخرجتك إلى

([1])الصحيفة السجادية:ص236.

([2]) الإسراء: الآية:23-24.

([3]) أخرجه البخاري في كتاب الأدب – باب من أحق الناس بحسن الصحبة 401/10.

الأرض، فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظمأ... وكان بطنها لك وعاء وحجرها لك حواء، وثديها لك سقاء... فتشكرها على قدر ذلك. ولا تقدر عليه إلَّا بعون الله وتوفيقه"[1].

يتبين أن الشكر في طاعة الأم لا يفي أبدا، مهما فعل الإبن لأمه من طاعة؛ ولذلك فإن عصيان الأم أمره عظيمًا عند الله تعالى. كما أن طاعتهما "أى الأم والأب" من طاعة الله تعالى ورضاه "كما سيأتى".

2- **حق الأب:**

وكما سبق في حق الأم يأتي حق الأب في المرتبة؛ ولذلك قال:

"وأما حق أبيك فتعلم أنه أصلك، وأنك فرعه، وأنك لولاه لم تكن. فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك، فاعلم أن أباك أصلُ النعمة عليك فيه، وأحمد الله وأشكره على قدر ذلك ولا قوة إلا بالله"[2].

من الجدير بالذكر أن إمامنا" زين العابدين" يشير دائما وينبه بقوله "فاعلم" هذا لا ينفي علم المسلم بالحق، ولكن على سبيل التحذير من التفريط في العمل بالحقوق الواجبة، والمستحبة ومن ثم فإن أي صفة من الخير يجدها الإنسان فى نفسه، يعلم أنها الفرع لأصله فيما ورثه من أبيه من جينات وراثية، وكذلك أمه، وهذا لقولهρ: عن ابن عمرو بن العاص **رضي الله عنهما** أن رسول الله ρ قال:

(رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد). [3]

ولذلك فقد جعل الله تعالى أو الطاعات الواجبة بعد معرفته وعبادته سبحانه وتعالى، هى طاعة الأم والأب، فهى السبب المباشر من الله تعالى فى وجود الأنباء.

3- **حق الولد:**

لقد نبه إمامنا على حق الولد أنه أمانة، وسوف يسأل عنها؛ ومن ثم فحبه لا يكفي في عطاءه لحقوقه، لكن يجب أن يؤدبه، ويعلمه كيف يصلح في الأرض، وأن يعمل بما يحبه الله تعالى، ورسوله ρ: فقالτ:

"وأما حقُ ولدك فقط فتعلم أنه منك، ومضافٌ إليك، في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤولٌ عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقبٌ، فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه، في عاجل الدنيا المعذور (المعذر) إلى ربه فيما بينك وبينه، بحسن القيام عليه والأخذ له منه، ولا قوة إلا بالله".[4]

الجدير بالذكر في وصف إمامنا" زين العابدين" في قوله:أنه منك، ومضاف إليك: أي أن عمله مضاف إليك، ويحسب له، أو عليه: له إن كان خيرًا، وإن كان شرًا، ينقص من قدره ويهان بسببه، فهو مسؤول في أن يعطيه حقه من الأدب والتربية، والدلالة على ربه، ويعينه على طاعته سبحانه وتعالى.

وهذا ليس تفضلا منه بل الواجب والفرض، والأمانة التي حملها الله تعالى له.

ومن ثم يعبر إمامنا قائلا: **" فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره"** فما أبلغ وأحسن من هذا الوصف القيم.فالتزين الصحيح والحق للأب، وكذلك الأم هو الأثر الطيب، والعلم النافع في الأبناء. قال الله تعالى **[وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ]** ولذلك فالأبناء هم الأولاد الغرس الطيب في الأرض الطيبة، وهذا أراده الإمام أن يكون نهجًا، ومسلكًا يقتدى به، وقد قصد بمفهوم التزيّن فى التربية: هو مقام الإحسان فى التربية، بحيث إنه يأتى من التربية للأبناء بأحسن ما يستطيع، وبحب فى سبيل الله تعالى، أن يأتى به يوم القيامة، وقد تزيّن بحسن غرسه للقيم فى أولاده.

4- **حق الأخ:**

نبه إمامنا على حق الأخ، بعد حقوق الوالدين، فهو من أصول الأرحام الواجبة، حيث قال:

" وأما حق أخيك فتعلم أنه يدُك التي تبسطها، وظهرك الذي تلتجئ إليه، وعزك الذي تعتمد عليه، وقوتُك التي تصول بها.

([1]) الصحيفة السجادية: ص 237/236.

([2]) الصحيفة السجادية: ص237.

([3]) أخرجه البخاري في الأدب المفرد42/1.

([4])المرجع: ص238/237.

فلا تتخذه سلاحا على معصية الله، ولا عدة للظلم بخلق الله، ولا تدع نصرته على نفسه، ومعونته على عدوه، والحؤول بينه وبين شياطينه، وتأدية النصيحة إليه، والإقبال عليه في الله. فإن إنقاد لربه وأحسن الإجابة له، إلا فليكن الله آثره عندك وأكرم عليك منه"[1]

لقد أوجب إمامنا في حق الأخ في أمرين:

الأول: أن لا يقطع الأخ صلة رحم أخيه مهما حدث منه، وأن يعلم أنه نعمة من الله تعالى حاباه بها، إن كان طائعًا لله تعالى ساعده على الطاعة والعمل الطيب، وإن كان عاصيًا كان سببًا له فى صواب هدايته وتقوله لله تعالى.

الثاني: أن تكون الصلة كلها في سبيل الله تعالى، فكما أن الله تعالى جعله عضد له، وعزه وقوة له، فلا يتخذه سلاحا على معصية الله تعالى، بل يجب أن يحول بينه وبين شياطينه وأن يكون دائم النصح له، فإن انقاد فالحمد لله رب العالمين على أن جعله معونه له، وإلَّا فالله سبحانه سيعوضك من الخير ما لا حدود له، وفي الحالتين لا يجب أن يقطع صلة الرحم فيه. والله الهادي إلى سواء السبيل.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهρ **(من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، اتقى الله عز وجل؛ وأقام عليهن كان معى في الجنة هكذا وأشار بأصابعه الأربع).** [2]

سابعا: حقوق الناس:

من الجدير بالذكر لقد حدد إمامنا" زين العابدين" في حقوق الناس في ست وعشرين، من الحقوق الواجبة،ونلاحظ من عرضه التالى:

أولا: أنه لم يفرق في الحقوق بين الناس، ففي كل الحياة من المعاملات، لها من الحقوق للإصلاح بين الناس.

ثانيا: لقد ذكر إمامنا، وخصص من حقوق الناس، التي هي محل النزاع، والأكثر شيوعا بين الناس، ولذلك ركز كلامه فيها.

ثالثا: أراد الإمام أن يؤكد أن راحة الإنسان، وسكينته النفسية في معرفة ما لديه من حقوق الواجب عليه التنبه لتقديمها، لمن يستحقها، ويبين ذلك التالى:

1- **حق المنعم بالولاء:**

إن المنعم بالولاء هو السبب الذي أجرى الله تعالى على يديه النعمة، وهو الذي وفقه الله تعالى برفع الضر والحزن. لكن أشار الإمام على الذي تسبب في نعمة الحرية. وعلى كل فالمعنى عام يقتضي أي دفع من العسر والضيق؛ وعلى وجه الخصوص إذا كان في سجن من قهر البلاء الشديد؛ ومن ثم رأى الإمام أنه لا يوجد من منعم بالولاء أكبر من إخراج الإنسان من العبودية إلى الحرية، يوضح ذلك التالى:

" وأما حق المنعم عليك بالولاء، فأن تعلم أنه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذل الرق ووحشته إلى عز الحرية، وأنسها وأطلقك من أسر الملكة، وفك عنك حلق العبودية... ودفع عنك العسر... وفرغك لعبادة ربك واحتمل ذلك التقصير في ماله، فتعلم أنه أولى الخلق بك، بعد أولى رحمك في حياتك وموتك واحق الخلق بنصرك، ومعونتك ومكانتك في ذات الله، فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج إليه" [3]

لقد أوجب إمامنا هذا الحق بعد قضاء حقوق صلة الرحم،حيث إن الحرية مفهومها في التفرغ للعبادة، وهو الغاية من الحياة لقوله تعالى: **[وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]**[4]. **أي ليعرفون**

وأنبه أنه يجب رفع الضر في أي وجه على الإنسان، سواء كان نفسيا، أو حسيا له مكانة عظيمة وهؤلاء أحق الخلق بالولاء، والنصر والمعونة والمكانة، فكما قال:

(فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج إليك)؛ لأنه بالمقابل هو قد فضله على نفسه لوجه الله تعالى.

2- **حق المولى:**

([1]) الصحيفة السجادية:238.

([2])أخرجه أحمد في المسند 42/3.

([3]) الصحيفة السجادية: ص239/238.

([4]) الذاريات آية :56.

إن هذا الحق، هو الذي قصده إمامنا "بالمولى" على وجه الخصوص، لا يوجد في عصرنا الحاضر، "كما سبق في" حق المنعم بالولاء، لكن الواجب علينا أن نستفيد من حكمة الإمام العامة للحقوق، مما قصده منه، حيث قال:

" وأما حق مولاك الجارية عليه نعمتك، فأن تعلم أن الله جعلك حامية عليه وواقيةً وناصرًا ومعقلًا، وجعله لك وسيلة وسببا بينك، وبينه فبالحري أن يحجبك عن النار فيكون في ذلك ثواب منه في الآجل ويحكم لك بميراثه في العاجل، إذا لم يكن له رحمٌ، مكافأة لما أنفقته من مالك عليه، وقمت به من حقه بعد انفاق مالك، فإن لم تخفه خيف عليك، إذ لا يطيب لك ميراثه ولاقوة إلا بالله"[1]

من الجدير بالذكر: أن النفع من أداء الحقوق، يكون النفع فيه في الآجل، والعاجل، وإن كان الغاية هو جزاء الآخرة، وفي الدنيا يذوق هذا المسلم الذي قضى ما عليه، فوق النفع الحسى الطمأنينة والراحة على توفيق الله تعالى له في قضاء ما عليه من حقوق.

3- <u>حق صاحب المعروف:</u>

إن صاحب المعروف، الذي قصده الإمام في الحقوق هو: الذي لا يربطه به صلة قرابة، أو أي صلة من أخلاق العمل والمصالح؛ وقد ذكر تلك الحكمة؛ منها أن صاحب هذا المعروف **يعمل معروفه عابرا في حياة المسلم، فلا يربطهما من أسباب التعارف، والمصالح، ومن ثم من السهل على المسلم نسيان فاعل هذا المعروف، فأراد الإمام أن يتذكره بالشكر والدعاء، والمقالة الحسنة، حيث قال:**

" وأما حق ذي المعروف عليك فأن تشكره، وتذكر معروفة وتنشر له المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله سبحانه.

فإنك إن فعلت ذلك كنت قد شكرته سرًا وعلانيةَ، ثم إن أمكن مكافأته بالفعل كافأته، وإلَّا كنت مرصدا له موطنا نفسك عليها." [2] أراد إمامنا أن ينبه أن التقصير في شكره ومكافأته، مع قدرته على مكافآته من أفعال النفس الأمارة بالسوء، فى يجب أن يهمل هذا الحق، يغفل عنه، فهو من الآداب الواجبة فى الإسلام

قال الله تعالى: **[إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ]**[3].

وقفة جديرة بالذكر فى شكر صاحب المعروف:

لقد تبين أن إمامنا "زين العابدين" نبه على مقام عظيم هو الشكر؛ فإن منزلته عظيمة فى حياة الأنبياء والرسل والعارفين بالله تعالى؛ ومن ثم قيل عنه: من أراد سبيل أخص خلق الله تعالى، وأقربهم إليه، فيعتلى هذا المقام، الذى يندرج فيه جميع مقامات الإيمان، حتى المحبة والرضا والتوكل، هذا لأن أصله هو التعلق بالمنعم، فقد سمّى الله تعالى نفسه:

شاكرًا، وشكورًا، وسمى الشاكرين بهذين الأسمين، فأعطاهم من إسمه وسماهم بإسمه، قال الله تعالى: **[إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا]**[4]

ولذلك **<u>كان تعريف الشكر</u>** أنه: انفتاح القلب لشهود منه الرب.

وهو: الاعتراف بالنعمة والعمل بما يقتضى المزيد من النعم وحقيقة العمل به: ملاحظة النعمة بلواحظ احترام المنعم.

وغايته: الإقرار بالعجز عن القيام بحق المنعم.

وعلى كل: هو فعل ينبئ بتعظيم المنعم. [5]

فهو معروف يقابل النعمة، سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب بذكر المنعم ومن أجرى عليه النعمة.

([1]) الصحيفة:239.

([2]) المرجع: 240/239.

([3]) لقمان: آية 31.

([4]) الإنسان: آية 22.

([5]) تابع تفصيل ذلك فى المراجع التالية:

- تقريب الأصول لتسهيل الوصول: أحمد بن زيني دحلان: ص 49.
- لطائف المنن الإمام ابن عطاء الله السكندرى: ط الشعب سنة (1406هـ – 1986م): ص4.
- درة الأسرار: للسيد الحميرى المعروف بإبن الصباغ: ط السعادة (1407هـ - 1987م): ص246.

4- حق المؤذن:

إن المسلم الذي يعرف جوهر وحقيقة شعائره الإسلامية، يفهم ويعي الحقوق لمن تخصص بقيامها من بيهم حق المؤذن، فقد التزم نفسه به، وهو فيه من التكبير والوحيد، والتسبيح؛ ومن ثم له كل التقدير والوقار، والحقوق على المسلمين، حيث قال:

"وأما حق المؤذن فأن تعلم أنه يذكرك بربك، وداعيك إلى حظك، وأفضل أعوانك على قضاء الفريضة، التى افترضها الله عليك فتشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك، وإن كنت فى بيتك متهمًا لذلك لم تكن لله فى أمره متهمًا وعلمت أنه نعمةٌ من الله عليك لاشك فيها، فأحسن صحبة نعمة الله بحمد الله عليها على كل حال ولا قوة إلاّ بالله".

وقفة مع إمامنا فى حق المؤذن:

لقد نبه إمامنا على حق المؤذن:-

أولًا: لأهمية، وقدر وعظمة ما ينادى به المؤذن، وله فارتفع صوته بالتكبير، والشهادة، والحياة الصحيحة والفلاح، فقد أذن فى خمس صلوات، ولقاءات لله تعالى، لا تفريط فيها؛ ومن ثم إن كان فى بيته أيقظه أذانه على الإسراع لطاعة الله تعالى وعدم التقصير، خوفًا ورجاءً لله تعالى.

وعلى ذلك فله من الحقوق لإيقاظه النفوس من غفلتها عن طاعة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[1].

ثانيًا: الواجب قضاء حق النعمة بالشكر والطاعة لله تعالى، حسن صحبته، وإذا استطاع قضاء حاجته مع توقيره، وتعظيم ما يقوم به.

5- حق إمام الجماعة:

على الرغم مسئولية إمام الجماعة، وما اشترطه الشرع فى قدره العلمى، إلَّا أنه قدم عليه حقوق المؤذن على حسب الترتيب: فالأول الأذان ثم إقامة الصلاة، فقال:

"وأما حق إمامك فى صلاتكَ، فأن تعلم أنه قد تقلَّد السفارة، فيما بينك وبين الله، الوفادة إلى ربك، وتكلم عنك، ولم تتكلّم عنه، ودعا لك، ولم تدع له، وطلب فيك، ولم تتطلب فيه، وكفاك هم المقام بين يدى الله، والمساءلة له فيك، ولم تكفه ذلك فإن كان فى شيء من ذلك تقصير، كان به دونك، وإن كان آثمًا لم تكن شريكه فيه، ولم يكن لك عليه فضل فوقى نفسك بنفسه، ووفى صلاتك بصلاته، فتشكر له على ذلك، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله"[2].

إن حق الإمام للجماعة فى التوقير والإحترام، والأدب الإسلامى العظيم، فى مسئوليته للجماعة بين يدى الله تعالى، وقد نبه إمامنا على أخطر وأعظم عمل يقوم به، وعلى قدر ثوابه وفضله، قدر وزره إذا لم يعمل بأصوله وآدابه؛ ولذلك فيجب تقدير هذا العمل وشكر الإمام عليه، وعلى تحمله هذه المسؤولية.

قال الله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾[3]

6- حق الجليس:

لقد قصد إمامنا بالجليس: هو الذى يلازمك فى جلستك، سواء ذلك فى عمل أو سفر ... أو أى حالة كانت.

فقال: " وأما حق الجليس فأن تلين له كنفك، وتطيب له جانبك وتتصفه فى مجاراة اللفظ، ولا تغرقه فى نزع اللحظ إذ لحظت وتقصُد فى اللفظ فى إفهامه إذا لفظت.

وإن كنت الجليس إليه، كنت فى القيام عنه بالخيار، وإن كان الجالس إليك كان بالخيار، ولا تقوم إلَّا بإذنه ولا قوة إلَّا بالله"[4]

([1]) الجمعة: آية 9.

([2]) المرجع: 240، 241.

([3]) السجدة: آية 24.

([4]) المرجع: 241.

لقد نبه إمامنا على قيم إسلامية عظيمة، وآداب سامية، كانت على تمامها وكمالها فى بيت النبوة، ومن ثم أراد إمامنا "زين العابدين" الحكيم، أن يقوى فى المسلم عمل هذه القيمة السامية؛ فمن منا لا يتعرض لذلك، إما أن يكون جليسًا، أو من يحضر للجلوس معه، فعليه من الحقوق والأداب:-

أولًا: أن يوسع له فى مقام جلوسه، ويكون له ليناً فى جلسته، أى يشعره أنه فى سعادة لوجوده، وهذا بلسان الحال.

ثانيًا: يكون معه طيب الحديث، وإن كان يتكلم من غريب الكلام ونقصه، فلا يجب عليه أن يغرقه فى نزع اللحظ، بل تنصفه فى مجاراة اللفظ، فلا يسبب له حرجًا يجرحه به.

فإذا تكلمت وتريد إفهامه، فلا تنقص من قدره ولو بلسان الحال، فلا تشعره بعدم فهمه، أو أنه لا يفهم ذاك أو ذاك، بل أعطيه الأدب من التوقير.

ثالثًا: إن كنت أنت الجليس: فيجب عليك أولًا الإستئذان بالجلوس، فإذا أذن لك فاجلس وإلَّا فلا جلوس لك.

وكنت بالخيار فى القيام، وإن كان الجالسى إليك كان هو بالخيار، بل يجب أن لا يقوم إلَّا بإذنه، حتى لا يسبب له حرجًا. قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[1].

7- <u>حق الجار:</u>

قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ...** ﴾[2]

لقدر ذكر الإمام حق الجار بعد الجليس، على الرغم أن الجار له من الحقوق والآداب، والمسئولية العظيمة أمام الله تعالى؛ لأنه قد يلازمه، وطبيعة الحياة بينهما تقتضى الكثير من المعاملات.

وهذا لحكمة إمامنا وفراسته الإيمانية، أن الجليس من الحقوق التى تغيب على المسلم، من حيث إنه يحدث فى الحياة، على سبيل عدم تقدير من الجليسين، على خلاف الجار الذى من الجائز أن يقضى حياته كلها فى جيرته، فيضطر أن يفعل من الآداب لمصلحة، أن يعيش حياة آمنة معه، يبين ذلك التالى: قال إمامنا:

"... فحفظه غائبًا وكرامته شاهدًا ونصرته ومعونته، فى الحالين جميعًا، لا تتبع له عورة، ولا تبحث له عن سوءة؛ لتعرفها فإن عرضتها منه من غير إرادة منك.

ولا تكلف كنت لما علمت حصنًا حصينًا، وسترًا ستيرًا له لو بحثت الأسِنّة عنه ضميرًا لم تصل إليه لإنطوائه عليه لا تستمع عليه من حيث لا يعلم، لا تسلمه عند شديدة، ولا تحسده عند نعمه.

تقبل عثرته، وتغفر زلته، ولا تدخر حلمك عنه، إذا جهل عليك، ولا تخرج أن تكون سلمًا له، ترد عنه لسان الشتمة، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة، وتعاشره معاشرة كريمة ولا حول ولا قوة إلَّا بالله"[3].

إن الآداب الإسلامية عظيمة فى حق الجار، ومن الجدير بالذكر سواء كان مسلمًا أو أى ملة أخرى:

أولًا: أن يكون معه صادقًا ومخلصًا لله تعالى؛ ولذلك يجب عليه أن يحفظه غائبًا وحاضرًا، ونصرته ومعونته.

ثانيًا: لا يتتبع له عورة، ولا يبحث له عن سوءة، فإن عرف شيئًا من ذلك دون قصد أن يستره، ويستغفر الله تعالى.

ثالثًا: لا يتسمع عليه من حيث لا يعلم، ويقف معه عند شدته، ولا يحسد له نعمة، وكذلك لا ينظر له فيها، ولا يضع لنفسه فيها بمقارنة.

رابعًا: يكون واسع الحلم معه، ويغفر زلته، ويرد عنه ألسن الباطل والسب والقذف.

([1]) المجادلة: آية 11.

([2]) النساء: الآية 36.

([3]) الصحيفة: 241 – 242.

وعلى كل أراد أمامنا أن نحسن معاملة الجار، بكل أداب بيت النبوة، والتى كانت نبراسًا لنا من حياة الرسول ρ.

8- <u>حق الصاحب:</u>

إن المقصود بالصاحب، هو ما يلزم الإنسان فى حياته ويتفق معه؛ ولذلك يجب أن تكون صديقًا صدوقًا ويكونا فى سبيل الله تعالى، وفى كل خير؛ ومن ثم ذكره الإمام فى الحقوق، وما ينبغى فيها، لقوله تعالى كما سبق فى حق الجارة ﴿**وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾[1]

قال الأمام فى حقوقه:

"وأما حق الصاحب فأن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلاً وإلاَّ فلا أقل من الإنصاف وأن تكرمه كما يكرمك، ويحفظه كما يحفظك، ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة، فإن تسبقك كافأته، ولا تقصر به عما يستحق من المودة، تلزم نفسك نصيحته، وحياطته ومعاضدته على طاعة ربه، ومعونته على نفسه فيما لا يهم به من معصية ربه، ثم تكون عليه رحمة، ولا تكون عليه عذابًا ولا قوة إلاَّ بالله" [2]

لقد وضح إمامنا أن الآداب والأخلاق الإسلامية، فى العلاقات كلها أهم ما فيها خلق الإيثار، وأن يكون فى سبيل الله تعالى، ولا ينظر فيها المسلم لمصلحة، كما نجد ذلك فى أكثر العلاقات؛ ولذلك تكثر المشاكل والخلافات، ولا تستمر، وقد رأى الإمام لا تصاحب إلاَّ بأن تتفضل بأفعال الخير فى سبيل الله تعالى، أى يفعل من الفضل دون أن ينظر إلى المقابل منه، إلاَّ فلا أقل من الإنصاف له.

فإذا سبق إلى المكرمة، فيجب المكافأة له، بما يحبه منك، وأن يفعل من المودة بينهما **ما استطاع،** ولا يقصر في ذلك. **والأهم فى العلاقات أيضًا:** أن لا يدخر له نصيحة بكل خير وحب ولله تعالى، ومعاونته فى أعباء الحياة، ومعاضدته على طاعة ربه، وعلى كل يكون له الرحمة، واللطف.

9- <u>حق الشريك:</u>

من العلاقات الإنسانية الهامة الشريك، فالقواعد الإسلامية والقيم الخلفية تقتضى حقوقًا هامة، وضحها إمامنا فقال:

"... فإن غاب كفيته، وإن حضر ساويته، ولا تعزم على حكمك دون حكمة، ولا تعمل برأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، وتنفى عنه خيانته فيما عزّ أوهان، فإنه بلغنا (أن يد الله على الشريكين مالم يتخاونا) ولا حول ولا قوة إلَّا بالله." [3]

فإن الأخلاق الإسلامية تقتضى أن حقه سواء فى غيابه وحضوره، وليعلم أنه له الحق فى الرأى والمشورة، فلا يستقل برأى نفسه عن مشورته، وليصدق فى نصحه، ومناظرته فى الصواب، ولا يتهاون فى حقه، فيما قل وهان، أو أكثر.

10- <u>حق المال</u>

إن المال رزق الله تعالى، يبسط ويقتر، كيف شآء سبحانه وتعالى؛ ومن ثم هو أمانة يجب أن يصرف فى إصلاح، وصلاح، فيجب فيه درء مفسدة، وجلب مصلحة ونفع؛ ولذلك له شريعة فى حرفه، قال الله تعالى: ﴿**وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[4]

ولذلك أراد إمامنا أن ينبه على حقوقه قائلًا:

" وأما حق المال فأن لا تأخذه إلاَّ من حله، ولا تنفقه إلَّا فى محله، ولا تحرفه عن مواضعه، ولا تصرفه عن حقائقه، ولا تجعله إذا كان من الله إلَّا إليه وسببًا إلى الله، ولا تؤثر به على نفسك، من لعله لا يحمدك، وبالحرى أن لا يحسن خلافته فى تركك، ولا يعمل فيه بطاعة ربك، فتكون معينًا له على ذلك، وبما أحدث فى مالك أحسن نظرًا لنفسه، فيعمل بطاعة ربه، فيذهب بالغنيمة وتبوء بالإثم والحسرة والندامة، مع التبعة ولا حول ولا قوة إلَّا بالله" [5]

([1]) النساء: الآية 36.
([2]) الصحيفة: ص 242.
([3]) الصحيفة: 242، 243.
([4]) الأعراف: آية 31.
([5]) المرجع: ص 243.

لقد وضح إمامنا زين العابدين على حقوق المال فى طاعة الله:

أولًا: أن يكون على يقين من أن مصدر ماله مما حلله الله تعالى ﴿**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ**﴾[1]

ثانيًا: أن يكون حكيمًا فى صرفه، فلا ينفقه إلَّا فى محله من النفع والصلاح.

وقد أشار إمامنا بالدقة فى صرفه، حتى لا يكون من المسرفين، وهو فيما لا فائدة فيه، لقوله تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [2]

ثالثًا: أن يحرص فى كل صرف له من المال، أن يكون من نية وإرادة لله تعالى، ويكون فى طاعة ونفع.

رابعًا: إذا أعطاه لغير، وآثره على نفسه، من حيث صرفه، أشار الإمام أن يكون على يقين، أن أخذ منه هذا المال لا يصرفه فى حرام، فيبوء بالإثم والندم.

11- حق الغريم:

الغريم هو صاحب الحق عليك، والطالب حقه منك، لقد نبه الإمام على الحرص على حقوقه وعلى أدب الحديث معه، حيث قال: **" وأما حق الغريم الطالب لك، فإن كنت موسرًا أوفيته، وكفتية وأغنيته ولم ترده، وتمطله، فإن رسول الله ρ قال:" مطل الغنى ظلم".**

وإن كنت معسرًا أرضيته بحسن القول، وطلبت إليه طلبًا جميلاً، ورددته عن نفسك ردًا لطيفًا، ولم تجمع عليه ذهاب ماله، وسوء معاملته، فإن ذلك لؤم ولا قوة إلاَّ بالله".[3]

لقد نبه إمامنا "زين العابدين" أن هذا الإنسان الذى عليه هذا الحق، فى حالة عدم قضاء الحق إما أن يكون ظالمًا: إذا كان يستطيع قضاءه، ولم يرده.

أما إن كان فعلاً معسرًا، ولا يستطيع سداده، فإذا حمّله بالشكوى عن ضيقه ضياع ماله: فهذا لؤم وذلك ليحرجه فيضطر أن يتنازل عنه؛ ومن ثم اعتبر إمامنا أن ذلك لؤما حتى ولم يقصد ذلك بالفعل فالواجب كفايته من الكلام الطيب وشكره، ووفاء هذا الدين وإن كان فعلا لا يستطيع قضاءه فى وقته، يجب عليه عندئذ حسن القول، ويطلب منه طلبًا جميلاً ولطيفًا بتأجيله، وأن يحرص على أنه سوف يسدده، وإن شآء الله تعالى يستطيع، وإلَّا كما وضح يكون لئيمًا لأخذ ما ليس له الحق فيه.

12- حق الخليط

الخليط في حياة المسلم غير الصاحب، فمن الناس من تضر بنا الحياة لمخالطتهم، على الرغم من الرغبة فى وجودهم أو عدمها؛ ومن ثم لقد حرص الإمام على حقوق الخليط؛ لأنه من الجائر أن لا يكون على هوى النفوس وراحتها، فقال:

"وأما حق الخليط فأن لا تغره، ولا تغشه، ولا تكذبه، ولا تغفله ولا تخدعه.

ولا تعمل فى إنتقاصه عمل العدو، الذى لا يبقى على صاحبه.

وإن إطمئن إليك إستقصيت على نفسك، وعلمت أن غبن المسترسل ربًا، ولا قوة إلا بالله"[4]

لقد أشار الإمام فى حق الخليط إشارات عظيمة:

أولًا: أن يكون عمل المسلم فى حياته لله تعالى، والمبادئ والأصول واحدة، سواء كان فى النفس رغبة وهوى، أم كان على خلاف ما تبغيه النفس وتحبه.

ثانيًا: أراد الإمام المسلم أن لا يغرّ الخليط، أن يكون صادق الوعد الكلام، وكذلك أن

لا يكون وصفه للأمور بمبالغة، فوق حقيقة ما يصفه؛ ولذلك قال إمامنا "زين العابدين": بأن لايغشه ولا يكذبه، ولا يخدعه مما لا يعلم حقيقته.

ولذلك لقد آثر الإمام الحفاظ على العلاقات الطيبة، والإسترسال فى عمل الخير والإستيفاء للحقوق المادية، والأحسن من القول وهذه أيضًا ممكن أن يطلق فى العلاقات التى تخص البيع والشراء: فأن لا

([1]) الرعد: الآية 26.

([2]) الأعراف: الآية 31.

([3]) الصحيفة: ص243- 244.

([4]) الصحيفة: 244.

يغره أى يبالغ فى وصف سلعته، بما لا واقع لها، وما يجعل المشترى يرى شيئًا فوق حقيقة السلعة، فلا ينتهز غفلته عن فهم ما يشتريه.

ولذلك وضح أن ذلك العمل الخسيس هو عمل العدو، الذى لا صاحب له، وأن علاقات الصداقة تبنى على الصدق والحب، ومن ثم خلق الإيثار من أهم الأخلاق فى بناء العلاقات الصالحة، وعلى ذلك فإن إنتقاص حق الخليط، أو الجور فيه من الربا المحرم، كما رأى إمامنا فيجب أن ينبه إلى ذلك المسلم ولا قوة إلا بالله تعالى.

13- حق المدعى

إن المدعى هو صاحب المقالة، الذى أدعى عللا غيره بحق هو له، فقد نبه إمامنا "زين العابدين"، إذ كنت أنت المدعى عليك من الغير، ماذا تفعل إذا كان ما يدعيه هو حق عليك أو باطل؟ **قال الإمام فى ذلك:**

" وأما حق الخصم المدعى عليك:

فإن كان ما يدعيه عليك حقًا: لم تنفسخ فى حجته، ولم تعمل فى إبطال دعوته، وكنت خصم نفسك له والحكم عليها، والشاهد له بحقه، دون شهادة الشهود، فإن ذك حق الله عليك.

"وإن كان ما يدعيه باطلاً رفقت به، وردعنه وناشدته بدينه، وكسرت حدته عنك بذكر الله.

وألقيت حشو الكلام، ولغطه الذى لا يرُدُ عنك عادية عدوك بل تبوء بإثمه، وبه يشحذ عليك سيف عداوته، لأن لفظة السوء تبعث الشر والخير مقمعه للشر؛ ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله"[1]

من الجدير بالذكر ما أشار إليه "زين العابدين" من الأخلاق الإسلامية العظيمة، التى يكون فيها المسلم لله تعالى بقلبه وقالبه؛ ومن ثم فى حق المدعى يجب أن يضع فى اعتباره أنه حق الله تعالى عليه:

أولاً: إن كان ما يدعيه عليه هو الحق، فلا يجب أن يعمل على إبطال دعوته، ومراوغته.

ثانيا: أن يحكم هو على نفسه، ويكون خصمها، حتى يحق الحق كما يجب؛ ولذلك قال إمامنا أنه عندئذ يكفيه أن يكون حاكمًا وشاهدًا على نفسه، قال الله تعالى:

﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾[2]

ومن الجدير بالذكر أيضًا إن كان ما يدعيه باطلاً فى حقه هو، فيجب عليه التالى:

أولاً: حرص "زين العابدين" أن يكون أخلاق المسلم، الذى أحسن إسلامه، ويحب الله تعالى ورسولهρ: أن تكون فى أخلاقه دعوة إسلامية لسبيل الله تعالى، وأن يكون أيضًا بمثابة الطبيب النفسى، الذى يحرص على صحة مرضاه النفسية؛ ليخرج منهم الأحسن والأصلح من الأفعال؛ ولذلك رأى الإمام إن رأيت دعوة باطلة عليك:

أن ترفق بالمدعى، وتناشده بدينه، وتكسر حدته بذكر الله تعالى والاستعانه به سبحانه.

وهنا ينبه الإمام، على عدم الإنفعال، ويذكره بالله تعالى، ليخرج منه صوت الحق، ويكسر فيه حدة الشر.

ثانيًا: أن يكون صبورًا حليمًا، فلا يرد على المدعى عليه بالباطل، فى لغطه ولغو كلامه، وإدعائه بالباطل، ومراوغته، لأنه يريدوحتى لا يستشيرى فى باطله والمزيد من كذبه؛ لأن لفظة السوء تبعث الأسوأ والأشر.

ومن الجدير بالذكر:

أن إمامنا "زين العابدين": رأى ببصيرته الإيمانية أنه عندئذ سوف يتسبب فى انبعاث المزيد من شره، وهو قد شاركه فى إثمه، هذا لأن مقالة الخير مقمعة للشر، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

قال الله تعالى: **﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾**[3]

وقفة فى عظمة ذكر إمامنا فى هذا الحق:

([1]) الصحيفة السجارية: ص 244، 245.

([2]) القيامة: آية14_ 15.

([3]) فصلت: آية 32: 35.

إن مجاراة الباطل هنا: كالذى رأى نارًا فبدلاً من أن يعمل على إطفاءها، وضع فيها ما يزيد من إشعالها، وضررها دون أن يدرى، ومن ثم بذلك قد شارك المشعل للنار.

هكذا الحال بينهما، فأراد إمامنا أن يتحلَّى المسلم بالحلم، وينتبه أن لايسبق غضبه هذا الخلق الكريم.

وهذا هو الإسلام فى جوهره، وواقعه فى بيت النبوة.

وهى حكم عظيمة مستقاه من الشرع الحكيم؛ ومن ثم إن كل المصائب بين الناس، وسفك الدماء والقضايا الخطيرة، من جريرة الغضب وسوء التصرف، وضيق الأفق، وكل ذلك من عدم معرفة أو البعد عن عظيم الأخلاق والقيم الإسلامية من الحكمة والحلم والصبر... وكل ما يجب أن يتحلَّى به المسلم من قيم وأخلاق.

14- <u>حق الخصم المدعى عليه:</u>

يقصد الإمام بحق الخصم المدعى عليه، هو بقوله: " لو أنت الذى أدعيت بالحق، ماذا يكون الحق الذى تتبعه...؟!

وصح ذلك إمامنا "زين العابدين" قائلاً:

"وأما حق الخصم المدعى عليه: فإن كان ما تدعيه حقًا أجملت فى مقاولته، بمخرج الدعوى.

فإن الدعوى غلظة فى سمع المدعى عليه، وقصدت قصد حجتك بالرفق، وأمهل المهلة، وأبين البيان، وألطف اللطف، ولم تتشاغل عن حجتك بمنازعته بالقيل والقال، فتذهب عنك حجتك ولا يكون لك فى ذلك درك، ولا قوة إلاَّ بالله"[1]

على الرغم من أن صاحب الحق له حجته ومقالته، لكن من عظمة الأخلاق الإسلامية فى بيت النبوة، رأى الإمام فيه أنه إذا تحدث يجب أن يكون حديثه، بإجمال فى إخراج دعوته، وذلك لأنها فى سمعه غلظه فليرفق به، ويمهله فى المطالبه، ويجب أن يكون كلامه لطيفًا.

وذلك ينبهه أن لا يتشاغل بمنازعته بالقيل والقال وعن حجته، فيضيع حقه .

<u>وقفة واجبة الذكر فى عظيم الحقوق الإسلامية:</u>

إن إمامنا "زين العابدين" يصف لنا علاجًا سلوكيًا ونفسيًا هاماً، لقد تبين فى شرحه لنفسية المدعى بالحق، من حيث حالته عند سماعه لما يزعجه، ويزيد من همه وحزنه.

ولذلك أراد "زين العابدين" أن يرفق به ويكون كلامه بالمهل، وبينّ للحجة، وليس باللطف فقط بل قال: **" بلطف اللطف" سبحان الله تعالى فى عظمة أخلاق بيت النبوة.**

ومع ذلك كما تبين لقد حذره أن لا يتشاغل بلغو كلامه والقيل والقال، ومراوغته، فتذهب حجته وحقه، بجانب أن هذا القيل والقال من عمل الشيطان، وطرقاته إليهما ليشغله عن حقه، ويحدث الظلم بينهما، فليستعذ بالله تعالى، ويثبت على الحق.

15- <u>حق المستشير:</u>

إن الأمانة أمرها خطير، وشأنها عظيم فى القيم الإسلامية، ولذلك والجدير بالذكر أن الأمانة فى الإسلام، فى كل شيء يحمله الإنسان ويسأل عنه، سواء كان ذلك الشيىء حسيًا أو معنويًا؛ ومن ثم قال إمامنا فى حق المستشير :

"وأما حق المستشير فإن حضرك له وجهُ رأى:

جهدت له النصيحة، وأشرت عليه بما تعلم أنك لو كنت مكانة عملت به، وذلك ليكن منك فى رحمةٍ ولين؛ فإن اللين يؤنس الوحشة وأن الغلظ يوُحش موضع الأنس، وإن لم يحضرك له رأى، وعرفت له من تثق فى برأيه، وترضى به لنفسك دللته عليه وأرشدته إليه، فكنت لم تأله خيرًا، ولم تدخره نصحًا ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله".[2]

لقد نبه إمامنا العارف بالله تعالى على خلق يجب أن يتحلّى به المسلم فى حق المستشير، إلا وهو "الرحمة واللين"، وهذا لأنه يعانى من الحيرة فى أمره، وربما يكون فى خطر ما؛ ومن ثم يجب أن يكون الناصح له قبل نصحه، أن يكون رحيما ولينا، يعالج فيه خوفه واضطرابه، وقد علل ذلك إمامنا أن اللين

([1]) الصحيفة السجادية: ص245.

([2]) الصحيفة السجادية: ص245.

يؤنس الوحشه؛ ولذلك ينفى عنه القلق الذى يشعر به فالكلمة أمانة والنصح والمستورة أعظم فى الوزر، عن أبى هريرة قال، قال رسول الله ρ: **(المستشار مؤتمن)** [1]،

وعن جابر قال: قال رسول الله ρ: **(إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه)** [2]

وعلى النقيض لو حدث من الغلط فى فعله كما وضح إمامنا يوحش موضع الأنس.

أى لو كان فى أنس، يتبدل هذا الحال بقبض ووحشة.

وهذا إن له الحق فى النصح والصواب، فعليه أن يجاهد، بكل رحمة ولين لإظهار الخير فى نصحه، وبما فى علمه أنه الصواب.

أما إن كان لا يملك ولا يحضره رأي ونصح، لكنه يعرف من يثق برأيه، وعلى يقين بمشورته، فليدل عليه.

ويبذل قصارى جهده ليوصله إليه.

ويوضح إمامنا أن العمل لله تعالى يتضح فى هذه الحالة، بأن يضع نفسه فى مشكلة المستشير ماذا يكون ضعفه، وحاجته للقول الأحسن الذى فيه الصواب، والرحمة واللين.

ومن ثم ينبه إمامنا على وجوب الإخلاص والصدق فى النية القول، والدلالة على الطريق.

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ρ: (مثل المؤمنين فى توارهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [3].

وعن سالم عن أبيه أن رسول الله ρ: قال: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة) [4].

16- حق المشير

فى كثير من أحوالنا نتعرض لآراء الناس فى أفعالنا، إما بنقد وتعليق، وإما بمدح وتحميد، سواء كان ذلك منهم بلا طلب، ولا صلة قرابة أو صداقة، أو بطلب، أو بسبب صلة رحم أو قرابة أو صداقة.

لقد نبه "زين العابدين" على أهمية ما يجب أن يتحلّى المسلم به من قيم وأداب فى استماع هذا النصح، والعمل به إذا علم أنه هو الصواب.

قال إمامنا فى ذلك: "وأما حقُ المشير عليك:

فلا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه إذا أشار عليك، فإنما هى الآراء وتصرف الناس فيها واختلافهم"[5]

يشير "زين العابدين" عند تدخل الناس بلغو الكلام، وفيما لا يعنيهم: بحسن الأدب الإسلامى وعندئذ يجب أن يتحلَّى المسلم العارف بالله تعالى بواسع الحلم على هؤلاء الناس.

وعندئذ يكون بالخيار حيث وضح قائلاً:- **"فكن عليه فى رأيه بالخيار، إذا اتهمت رأيه، فأما تهمتُه فلا تجوز لك، إذا كان عندك فمن يستحقُ المشاورة، ولا تدع شكره على ما بدا لك من إشخاص رأيه وحسن وجه مشورته، فإذا وافقك حمدت الله وقبلت ذلك من أخيك بالشكر والإرصاد بالمكافآة فى مثلها إن فزع إليك ولا قوة إلا بالله"** [6].

وقفة واجبة الذكر فى عظيم أخلاق "زين العابدين" وعلمه:

من الجدير بالذكر: (الواجب تهمة الرأى لا تهمة القائل به): هكذا نبه إمامنا على قضية مهمة جدًا، لها من السلبيات الخطيرة والمشاكل والقضايا بين الناس، ففرق بين الرأى، والقائل به، فأراد "زين العابدين" أن الرأى والقول لا يدل دلالة كاملة على شخصية وطبيعة القائل به، فربما قاله وهو لم يتعقله أو كان فى حالة لم يتدبره التدبر الصحيح فأخطأ، وهو لم يشعر بخطأه.

([1]) رواه الترمذى فى الأدب ـ باب (إن المستشار مؤتمن) وقال حديث حسن 125/5ـ وابن ماجه 1233/2- والبخارى فى الأدب المفرد 355/1.

([2]) رواد ابن ماجة 1233/2.

([3]) أخرجه مسلم فى كتاب البر، والصلة باب (تراحم المؤمنين) 4/ 1999.

([4]) رواه مسلم فى (البر) باب (تحريم الظلم) 4/ 1996.

([5]) الصحيفة: ص 246.

([6]) المرجع: والصفحة.

ومن ثم فمن الخطأ أن نظل نحكم بقوله ونتهمه به، دون أن نوضحه له، فى وقت مقام وبحوار يستطيع فهمه وتدبره؛ ولذلك ومن عظيم الأدب الإسلامى، الذى نبه عليه إمامنا قوله: "لا تدع شكره على ما بدا لك من إشخاص رأيه".

وإن مفهوم الشكر ليس كما يفعله البعض من سد الخانات، ولسان حاله يعلن أنه كره تدخله وكلامه؛ ومن ثم قال كما سبق **"وحَسَنِ وجه مشورته"**؛ وعلى كل حال فإن من حُسن أخلاق المسلم التبسم، هو رفعة عن دنايا الأفعال، فمهما كره من الأقوال، يجب أن يخرج منها، بأن يرتفع عن تلك الصغائر بما وصفه إمامنا من القيم النبيلة والأفعال الحسنة والصالحة.

ولذلك الواجب فى المشورة الصالحة، نبه إمامنا أنه لابد من المكافأة عليها، بجانب الشكر، وإن المكافأة أدناها أن تكون بمثلها إن فزع اليه فى أمر مثله.

17- حق المستنصح:

إن المستنصح من نصح الشىء نصحًا، ونُصُوحًا، ونصاحَةٌ: أى خلص.

ويقال: نصحت توبتُهُ: خَلصَت من شوائب العزم على الرجوع، ونصح قلبُه: خلا من الغِش، ولفلان الود أو المشورة: أخلص وفلانًا، وله: أرشده إلى ما فيه صلاحُه، فهو ناصحٌ، نصَّاح، وهو نصيحٌ نصَحَاء.

وانتصح: قبل النصيحة، أما تنصحَ: تشبه بالنصحاء.

تناصحوا: نصحٌ بعضهم بعضاً.

واستنصحَهُ: طلب منه النصيحة.

النّاصِحُ: الخالص من كل شىء، ويقال: امروء ناصِحُ الجيب: لا غش عنده.

والنصح: إخلاص المشورة.

والنَّصُوحُ: يقال: توبةٌ نصوح: خالصة.

النّصِيحُ: الناصِح، نُصحاءُ[1]

وعلى كل فالنصيحةُ: قولٌ فيه دعوة إلى صلاح ونهى عن فساد.

وعلى سبق فإن الفرق بين الإستشارة والنصيحة، أن الاستشارة هى مجرد العرض للرأى والمشورة .

وأما النصيحة: فيها من الإصرار على الرأى، فى النصح والإرشاد.

ولذلك يدل أيضًا أن الأمر فيه من الخطر والخطأ، ما يجعل الناصح بالرأى، يشد فى النصح به

وعلى ذلك قال إمامنا زين العابدين فيه:

"وأما حقُ المستنصح: فإن حقة أن تؤدى إليه النصيحة على الحق الذى ترى له، أنه يحملُ ويخرج المخرج الذى يلين على مسامعه، وتكلمه من الكلام بما يطيقُه عقلُه، فإن لكل عقلٍ طبقةً من الكلام يعرفه، ويجتنبه، وليكن مذهبك الرحمة ولا قوة إلَّا بالله"[2].

من الجدير بالذكر نبه إمامنا فى حق المستنصح على أداب آفاق عرض النصيحة، وذلك لأهمية فهم المستنصح للنصيحة فى نفعه، فيلزم عليه فى هذا الحق أن يؤديها بصدق، وطريقة تصل إلى مسامعه ودرجة فهمه وتعقله.

ولذلك أشار إمامنا أن لكل عقل من العقول طبقه من الحديث، وطريقة فهم يجب على صاحب النصح معرفتها والعمل بها، ومن ثم يجب أن يتحلّى بالرحمة فى حديثه وإلقاءه النصح على كل حال.

قال ρ: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه) [3].

18- حق الناصح:

([1]) المعجم الوجيز: ص 618.

([2]) الصحيفة: ص 246.

([3]) أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء والدعاء، باب (فصل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر) 4/ 2074 رقم 2699.

قال الله تعالى**[الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ]**[1] من الجدير الذكر كما سبق في عرض أهمية النصيحة في الإنصات إليها؛ ومن ثم فإن حق الناصح على المستنصح من القيم والآداب الذى يجب به توقيره واحترامه، وأن يستمع له وينصت بكل تدبر له، **حيث وضح ذلك إمامنا قائلا:**

" وأما حق الناصح: فأن تلين له جناحك، ثم تشرئب له قلبك، وتفتح له سمعك حتى تفهم عنه نصيحته، ثم تنظر فيها فإن كان وفق فيها للصواب حمدت الله على ذلك، وقبلت منه، وعرفت له نصيحته.

وإن لم يكن وُفق لها رحمتَه، ولم تتهمه، وعلمت أنه لم يألك نصحًا، إلَّا أنه أخطأ، إلَّا أن يكون عندك مستحقا للتهمة فلا تعبأ بشيىء من أمره على كل حال، ولا قوة إلا بالله." [2]

قال ρ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) [3]

<u>وقفة في آداب سماع النصح:</u>

<u>أولا:</u> لين الجناح، ويعني به العطف، والشفقة، والرأفة وينبه إمامنا بلين الجناح هو توقير الناصح ليس لنصحه فقط؛ ولكن لنيته الصادقة في توجيه النصح، فهذا في ذاته يحتاج إلى شكر وثناء.

وكذلك أيضا أن يسمع نصحه كما يسمع شيخه، ومعلمه في تلقيه العلم، واحترام شأن شيخه.

<u>ثانيا:</u> قد عبر إمامنا بصدق السماع **"بلفظ ثم تشرئب له قلبك"** فإذا سمع بعقله وتدبر نصحه أحاط به قلبه ؛ ومن ثم من اليسير أن يعمل بهذا النصح، إذا رأى الحق فيه.

<u>ثالثا:</u> لقد قدم إمامنا "زين العابدين"، أدب سماع النصح، ثم إدراك القلب للنصح، وقد قال بعد ذلك **"وتفتح له سمعك حتى تفهم عنه نصيحته ثم تنظر فيها"**، ولذلك ينبه إمامنا على صدق المستنصح في أدب الاستماع، فقد قدم الإخلاص والأدب، فبهما يستطيع تدبر النصح وقبوله والعمل به، إن كان هو الصواب.

وعلى الجانب الآخر أيضا يستطيع بهذا الأدب تدبر الخطأ فيه، وعندئذ بأدبه يرحمه ولم يتهمه وكما سبق عرض أهمية أن لا يتسرع المسلم أن يحكم على إنسان برأى أو قول.

ولذلك قال إمامنا فى ذلك كما سبق: "رحمته ولم تتهمه وعلمت أنه لم يألك نصحًا إلَّا أنه أخطأ".

هذا إن لم يكن لديه يقين بتهمة الناصح، وإن علم أنه يستحق التهمة، فقد رأى إمامنا: "فلا يعبأ بشيء على كل حال ولا قوة إلا بالله"؛ ولذلك فإن من الأدب الإسلامي على كل حال يقتضي من المسلم فعله، حتى مع رفض النصح من الذى لم يصدق فيه.

عن أبي هريرة τ: قال: قال النبيρ: (من تقول عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار ومن استشار أخوه المسلم فأشار عليه بغير رشد، فقد خانه، ومن أفتا فتيا بغير ثبت فإثمه على من أفتاه).[4]

19- <u>حق الكبير:</u>

من القيم المجتمعية الهامة جدا، "حق الكبير" فإذا رأينا مجتمعاً فيه يحترم الكبير، ويوقره بكل قيم نبيلة عرفنا أن ذلك المجتمع ما زال بخير بأخلاقه الإسلامية. قالρ: **" ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا "** [5]. ومن ثم فإن حق الكبير كما قال إمامنا:

"فإن حقه توقيره لسنه وإجلاله لتقدمه في الإسلام قبلك، وترك مقابلته عند الخصام، ولا تسبقه إلى طريق ولا تتقدمه ولا تستجهله وإن جهل عليك احتملته وأكرمته، لحق الإسلام وحرمته فإنما هي حق السن بقدر الإسلام ولا قوة إلا بالله"[6]

([1]) سورة الزمر: آية: 18.

([2]) الصحيفة: 247/246.

([3]) رواه الإمام مسلم في كتاب الإمارة- باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله 1506/3رقم 1893.

([4]) رواه البخاري في الأدب المفرد358/1- والثبت: الحجة والبينة.

([5]) أخرجه الترمذي في كتاب(البر) باب ما جاء في رحمة الصبيان322/4.

([6]) الصحيفة: ص247.

لقد وضح إمامناτ: أن حق الكبير عمومًا لسِنه، في تقديم كل المساعدة والعون له، والرحمة به. لكن تزيد تلك الحقوق بالإجلال والتوقير لتقدمه في الإسلام، كما عدد إمامنا من تلك الحقوق الواجبة في إكرامه واحتماله، وإن رأى منه من المكروه.

20- حق الصغير:

من الرحمة التي أوجبها الإسلام هى الرحمة بالأطفال، فالصغير أو الطفل ضعيف في حاجة إلى رحمة الكبير، والرفق به. وإذا شبع الأطفال من رحمة الكبار، وأخذوا كل حقوقهم المعنوية، والنفسية، والتربية الصحيحة: شبوا أسوياء صالحين.

وإذا ارتوى الأطفال من حنان الكبار، وتغذوا بالقيم الإسلامية النبيلة: نشأوا أعضاء قادرين على بث الخير والصلاح في الأرض.

عن أبي هريرة τ قال: قبّل رسول الله ρ:الحسن بن على، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ρ ثم قال: **(من لا يرحم لا يرحم)** .[1]

ولذلك فإن حق الصغير من الأصول والقيم الواجبة، حيث وضح ذلك إمامنا زين العابدين قائلا:

" وأما حق الصغير فرحمتُه وتثقيفه وتعلمه والعفو عنه والستر عليه، والرفق به، والمعونة له، والستر على جرائر حداثته فإنه سبب للتوبة والمداراة له، وترك مماحكته فإن ذلك أدنى لرشده". [2]

من الجدير بالذكر لقد وضح إمامنا:

أولا: الرحمة تعني العطف، والشفقة، والحنان والرقة، والرفق، والمودة، واللين والرأفة. وإن الرحمة تقتضي الإحسان إليه، بكل أنواع العطاء والغذاء النفسي والمعنوي والحسي، على قدر ما يوصله لرشده.

ثانيا: قدم إمامنا τ: تثقيفه على تعليمه؛ وقد أراد بذلك لأن الثقافة عامة يحصل عليها الصغير، منذ فترة الرضاعة، وأمه تكلمه وتفهمه، وعلى رغم أنه لا يتكلم بعد، لكنه يفهم منها من حنانها، وحبها، فيكبر على علوم ثقافية، هذا إلى أن يصل إلى سن اكتساب العلوم والحفظ.

ولذلك فالثقافة يأخذها في كل شيء، وأما التعليم يخص ما يميل إليه من العلوم.

ثالثا: يجب مع الصغير العفو، والستر عليه، والرفق به بحيث أن لا يصل به ذلك إلى مماحكته، كما وضح إمامناτ؛ هذا لأنه ما زال لصغره لا يقدر عواقب الأمور، ولا يفهمها؛ ومن ثم قال إمامنا بوجوب المعونة له، والستر على جرائر حداثته، فإنه سبب للتوبة والتفقه لعواقب الأمور.

رابعا: من الظلم للصغير كما وضح إمامنا هو تدليله ومماحكته، فإن ذلك لا يجعله مهما كبر أن يكون راشدا؛ وفاهمًا قويًا ومن ثم فإن إعطاء الرحمة مع الثقافة والعلم، والتربية، بجانب ما نبه عليه إمامنا من خروجه عن حد الاعتدال، والتهاون معه في القيم الإسلامية الواجبة.

21- حق السائل:

قال الله تعالى:**[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ]**[3]. إن حق السائل من الواجبات، والأصول الإسلامية، بحيث أن من يتعمد إهمال حقه يفعل إثمًا كبيرًا، **لقد وضح ذلك إمامنا قائلا:**

" أما حق السائل فإعطاؤه إذا تهيأت صدقة، وقدرت على سد حاجته، والدعاء له فيما نزل به، والمعاونة له على طلبته.

وإن شككت في صدقة، وسبقت إليه التهمة له، ولم تعزم على ذلك، لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان، أراد أن يصدّك عن حظك، ويحول بينك وبين التقرب إلى ربك، تركته بستره ورددته ردًا جميلاً.

وإن غلبت نفسك في أمره، وأعطيته على ما عرض في نفسك منه، فإن ذلك من عزم الأمور".[4]

([1]) أخرجه البخاري في كتاب الأدب- باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته – الفتح 426/10- رقم 5997.

([2]) الصحيفة: ص248.

([3]) سورة البقرة: آية: 254

([4]) الصحيفة: ص 248.

الواجب فى حق السائل:

نبه إمامنا في حق السائل الذى إذا استطاع حاجته، يجب عليه:

أولاً: إعطاؤه لسد حاجته .

ثانيًا: الدعاء له والإخلاص في ذلك لرفع حاجته، وما نزل به إلى سؤال الناس.

ثالثًا: المعاونة له على طلبه، أعتقد أن مقصد إمامنا من ذلك هو التواصل معه، إذا استطاع ذلك لمعاونته، فإن السؤال عنه من الجوانب الإنسانية النبيلة، في حب الله تعالى ورسوله ρ.

رابعًا: لقد نبه إمامنا على خلق عظيمُ نبيل من أخلاق بيت النبوة: وهو إن شككت في صدقة، وإن مفهوم الشك هو عدم النبين من أمر حاجته، ولذلك قال τ: **" لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان"** أراد أن يصدك عن أفعال الخير؛ لأن خلق الشك دائمًا من أفعاله لعنة الله تعالى عليه.

ومن ثم أراد الإمام إعطاء السائل، على رغم من شكه فى أمره، فقد رأى أن الله ستره فيجب أن يرده ردًا جميلاً.

ولأن عدم تبينه من أمره هو نوع من أنواع الستر من الله تعالى له، فعندئذ يجب أن يرده ردًا جميلاً كما سبق.

خامسًا: أما إن غلب على أمره أنه يدعى، ويكذب، على رغم من ذلك يرى إمامنا τ يجب عليه أن يعطيه، فإنه قد عرض نفسه للذل والمهانة، فلا يجب أن يرد سؤاله؛ أن ذلك من عزم الأمور، إنه يعطيه رغم كذبه وادعاءه الباطل.

وقد أشار أن ذلك من عزم الأمور، على قدر إيمانه، وعلمه بأن العطاء بالله، ومن الله وإلى الله سبحانه وتعالى.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأخلاق العظيمة كانت تخص بيت النبوة، فإن من عاداتهم أنهم إذا سُألوا بالله تعالى، أعطوا به من غير تردد، ولا شك.

أما غيرهم إذا سُألوا ممن يدعى الحاجة، وعرفوا كذبه، لم يتحملوا كذبه، وإن أعطوه ما ادعاه كان ذلك من عزم الأمور، وعلى ذلك فإن صفة آل بيت النبوة في العطاء تختلف عن باقي المسلمين؛ فإن الرسول ρ كان يستغفر لمن لا يستحق له الاستغفار، وكان يحمل نفسه ρ مشقة فوق طاقتها، بسبب حبه لله تعالى أن يدخل الناس كافة في الإسلام؛ ولذلك قال الله تعالى:

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾[1].

وعلى ذلك تربوا آل بيته ρ على هذه الأخلاق النبيلة.

قال الله تعالى: **﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾** [2].

22- <u>حق المسؤول:</u>

إن المسؤول عليه من الآداب الإسلامية، التي وضحها إمامنا قائلاً:

" وأما حق المسؤول فحقه إن أعطى قُبل منه إما أعطى بالشكر له والمعرفة لفضله، وطلب وجه العذر في منعه.

وأحسن به الظن، وأعلم أنه أن منع (فما له) منع وإن ليس التثريب في ماله، وإن كان ظالمًا فإن الإنسان لظلوم كفارا " [3].

على الجانب الآخر لقد أوجب الإمام τ على المسؤول:

أولاً: الرضا بعطاءه على كل حال .

ثانيًا: شكره، ومعرفة فضله.

ثالثًا: وإن منعه العطاء يجب عليه طلب وجه العذر، وأن يحسن الظن به .

وإن كان كان ظالمًا في منعه لعطاءه، فهو قد منع حق الله تعالى فيه، وإن الإنسان لظلوم كفار.

([1]) الكهف: آية 6.

([2]) البقرة: أية 262.

([3]) الصحيفة: ص 248.

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [1].

23- <u>حق من السَّار:</u>

إن كلمة "السَّار" في اللغة "سرَّه" سرورًا ومسرة أفرحة " أسَرَّه" كتمه، وإليه حديثًا: أوصله إليه سرًا و"سَارَّهُ" مسارَّةً وسرارًا: ناجاه وأعلمه بسره. و"السرور": ارتياح في القلب عند حصول نفع، أو توقعه أو اندفاع ضرر[2] .

لقد قصد إمامنا بحق " السَّار" هو الذى يسبب السرور والمسرة للناس، فكثيرًا ما يتعرض الناس لما يحزنهم، وتشق الحياة عليهم، وكذلك من يبصر تلك الحالة، يجب عليه بفراسة المؤمن أن يعمل على إخراجهم من ظلمه هذا الضيق إلى نور اليقين بالله تعالى.

من الجدير بالذكر أن " زين العابدين " بحكمته ومعرفته بربه ومن نور بيت النبوة، ذكر هذا الحق، الذى قد ينساه الكثير من المسلمين.

وفى الواقع أن من حاباه الله تعالى وقدره على إخراج الناس إلى حالة السرور والنشاط، له من الآجر والقدر العظيم .

ما لا يعلمه إلاَّ الله تعالى، ومن ثم قال إمامنا :

" وإما حقُ من سرك الله به، وعلى يديه فإن كان تعمّدها لك حمدت الله أولاً، ثم شكرته على ذلك بقدره في موضع الجزاء، وكافأته على فضل الابتداء وأرصدت له المكافأة وإن إن لم يكن تعمدها حمدت الله، وشكرته وعلمت أنه منه توحدك لها، وأحببت هذا إذا كان سببًا من أسباب نعم الله عليك، وترجو له بعد ذلك خيرًا، فإن أسباب النعم بركة حيث ما كانت " [3].

قال ρ: **(كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقي أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من دلوك فى إناء أخيك)** [4] فإن لله تعالى من الجنود يرسلهم لعباده، فالواجب على المسلمين فهم حكمة الله تعالى، وقضاء حقوق هذه النعم، منها ما ذكره إمامنا في هؤلاء الذين يتسببون في رفع الكروب، وإدخال السرور، فالواجب لكى لا تنقطع هذه النعم وتستمر:

أولاً: كما قال إمامنا الحمد لله تعالى عليها، ثم شكر من أجرى الله تعالى النعمة على يديه.

ثانيًا: إن ما يلاحظ على إمامنا " زين العابدين" في رسالته أنه دائمًا يشير إلى المكافأة على الفضل، هذا لكى تتواصل علاقات الناس على الحب، والود، والتكافل فيما بينهم بكل العطايا المستطاعة.

ثالثًا: إن من عظيم النعمة من الله تعالى أن يجريها على يد إنسان، يجنده له، دون أن يعلم هذا الحامل لها، والمسبب لتلك النعمة، واللطف من اللطيف الخبير.

ومن ثم الواجب عندئذ أن يعلم المنعم عليه بحكمة الله فيها، ويحمده ويشكره سبحانه وتعالى، على هذا السرور.

وهكذا كل ما يفعله الانسان من معروف وإحسان من الأجر العظيم، كما قال ρ:

(تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة) [5] .

24- <u>حق من أساء القضاء:</u>

([1]) البقرة: أية 254.

([2]) المعجم الوجيز: ص 308، 309.

([3]) الصحيفة: 248 – 249.

([4]) أخرجه البخارى في الأدب المفرد 404/1.

([5]) رواه الترمذى وحسنه، وابن ماجه في صحيحه، وزاد (وبصرك للرجل الردئ البصر لك صدقة) الترغيب والترهيب 422/3.

من أعجب الحقوق، ويبدوا أنه من أعظمها: حق من أساء القضاء وقبل أن أعرض رأى إمامنا "زين العابدين" في حقوقه، لا بد أن نعلم حكمة الإمام في ذلك؟ ومن هو الذى يسيئ القضاء ؟! وماذا يقصد إمامنا من الإساءة في حكمه ؟!

أولاً: إن حكمة الإمام أن الإنسان ليس بمعصوم من الخطأ.

ثانيًا: من الأخطاء الواردة، الخير فيها والأحسن العفو، حيث إن ذلك من الإصلاح والتطهير والعلاج في كثير من المشاكل .

ثالثًا: أن هذا القاضي المذكور في عرض "إمامنا" أن العفو عنه يصلح من شأنه، وشأن من يحكم في أمرهم.

قال إمامنا " زين العابدين":

" وحق من أساءك أن تعفو عنه فإن علمت أن العفو يضره انتصرت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[2]. هذا في العمد.

وإن لم يكن عمد لم تظلمه بتعمد الانتصار منه، فتكون قد كافأته في تعمد على خطأ ورفقت به وردته باللطف ما تقدر عليه [3] .

وقفة هامة في عظمة إمامنا زين العابدين:

ومن الجدير بالذكر، والذى يدهش أي قارئ لرسالة الحقوق عظمة آل بيت النبوة، من أخلاق وعلوم ؛ فقط ادركوا الحقوق في كل شيء، وأحاطوا بها .

وإن هذا ليس بغريب، من الذين تربوا وتنفسوا على عبير أخلاق الحبيب المصطفي ρ .

لقد أراد " زين العابدين " τ أن يعم خلق العفو بين المسلمين، باتساع الصدور له، وتدبر العقول في حكمته، إن كان يعود ويثمر بثمرات الإصلاح والصلاح فالعفو أولى، وأحسن وخير في حياة الناس.

كما أراد إمامنا "أن يطهر قلوب الناس من الغل، والكره، وحب الانتقام والانتصار للنفوس فإن خلق العفو يعمل على تطهير القلوب من الأحقاد، والهموم.

وقد أراد أيضا أن يكون أعمال المسلم كلها خالصه لله تعالى وصادقة، فالمسلم في حالة إن وقع عليه إساءة من القاضي، وهو قد تعمد ذلك **فى الحالة الأولى:** أن يعلم إذا كان العفو أقرب في الإصلاح من أمر هذا القاضي، أم أن العفو عنه يضره، ويقويه على كثرة تعمد الظلم؟!!

ومن ثم فالمسلم الواجب أن يكون عفوه بالله ولله وإلى الله، وعمله يكون فيما يرضيه هو سبحانه.

هذا ما أراده " زين العابدين" أن تعم الرحمة بين الناس .

والحالة الثانية هي في عدم تعمده الإساءة في القضاء لقد نبه إمامنا: **"أن من الظلم تعمد الانتصار منه، ويجب عليه على قدر ما يستطيع أن يرفق ويلطف به".**

وهذا في حق القاضي الذى يريد العدل، ويبغيه أن يكون خلقًا عامًا، لكنه أساء دون أن ينوى ويريد، ولذلك ما أسهل رجوعه إلى الصواب .

ومن الجدير بالذكر:

إن من حكمة إمامنا أن يكون الأجر على الله تعالى، على وجه الخصوص، وذلك إذا صبر على الإساءة، لأن خلق الصبر بالذات فوق الحساب، كما قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [4].**

24- حق أهل الملة:

لقد قصد إمامنا " زين العابدين " بحق أهل الملة هو كل من يجتمع معنا في ملة الإسلام من الناس.فكل من قال أنى مسلمًا، وشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله: هو من أهل الملة

([1]) الشورى: آية 41.

([2]) النحل: آية 126.

([3]) الصحيفة: ص 249.

([4]) الزمر: آية 10.

فقال إمامنا في حق أهل الملة:

" وأما حق أهل ملتك عامة، فإضمارُ السلامة، ونشر جناح الرحمة والرفق بمسيئهم، وتألفهم واستصلاحهم، وشكر محسنهم إلى نفسه وإليك، فإن إحسانه إلى نفسه إحسانٌ إليك إذا كف عنك أذاه، وكفاك مؤنته، وحبس عنك نفسه، فعمهم جميعًا بدعوتهم، وانصرهم جميعًا بنصرك وأنزلهم جميعًا منازلهم، كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، ووسطهم بمنزلة الأخ، فمن آتاك تعاهدته بلطفٍ ورحمةٍ، وصل أخاك بما يحب للأخ على أخيه " [1].

وقفة جديرة بالذكر مع عظيم حقوق إمامنا:

في الواقع أننا في حاجة المضطرين إلى مثل تلك الحقوق، التى أشار إليها امامنا، على وجه الخصوص في هذا القرن، الذى فيه أصبح عدو المسلم الأشد خطرًا، هو الذى من ملته، ويعيش معه.

فمن المؤسف والمحزن انتشار الجهل بين المسلمين، بحقيقة الأصول القيم الإسلامية، والحقوق فنحن نعانى من تيارين كلاهما أشد خطرًا ومرارة من الآخر:

الأول: التيار المغالى والمشدد في فهمه لأصول الدين؛ ومن ثم يجهل كل القيم والأخلاق الإسلامية، ومن هذا التيار رأينا منهم من يقتل ويسفك الدماء، دون أدني وعى، ولا يفرق في ذلك بين الشيخ، والطفل، والشاب، وللأسف فهو يفرز كل كرهه وجهله على أهل ملته، ومن عمى قلوبهم يرون أعداء الإسلام يفسدون في الأرض، ويعبثون بالحرم الأقصى، ولا يلتفتون لهم بأى رد ولا دفاع.

الثانى: التيار الآخر، هو العلمانى الذى فرط في دينه وقيمه، بل ومنهم يحرفون الإسلام على أهواءهم. ولا هذا يعرف ملته، ولا حقوق أهل ملته، ولا الآخر هكذا لا يعرف شيئًا.

ومن ثم ما أشد حاجتنا إلى ما يلي مما أشار إليه إمامنا " زين العابدين" .

أولا: أن أهل الملة هو كل من قال أنى من المسلمين، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.

هذا ولو خالف تعالم وأصول دينه، وأهمل العمل بها، فله من الحقوق والتعليم والتربية والرحمة ... وما أشار إليه أمامنا.

ثانيًا: لقد قال إمامنا **"فاضمارُ السلامة ونشر جناح الرحمة"**، لقد خص الإمام كلمة **"إضمار"** والآضمار يعنى: كل ما يضمره الإنسان من خير أو شر؛ ولذلك يجب تصفية القلب عن أي شر، ومن ثم الواجب في العطاء نشر جناح الرحمة من اللين والرفق والابتسامة، وكل ما يكون به الخير والسلام **بين الناس .**

ثالثا: الرفق بمسيئهم، إذا كان الرفق علاجا، وأحسن السبل للإصلاح.

رابعًا: العمل على كل خير يؤلف قلوب أهل ملته، كما يسعى بكل السبل لاستصلاح أحوالهم.

خامسا: شكر محسنهم لنفسه، أي لو رأى مسلمًا يفعل الخير لنفسه، فالواجب عليه أن يشكره، لأنه أحسن ما أمره الله تعالى به من الإحسان.

وكذلك فإن هذا الإحسان يعود على الناس، وأهل ملته بالصلاح والسلام؛ كذلك لأنه به قد كف شره وأذاه عن الناس.

ولذلك قال إمامنا أنه " كفاك مؤونته" أي أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فحبس عنك نفسه.

سادسًا: لقد بنه إمامنا أن لا يفرق المسلم، في تلك الحقوق لأهل ملته بينهم، فكلهم سواء، فيجب أن يعمهم جميعًا بدعوته ونصره لهم.

لكن يجب أن ينزلهم منازلهم كما سبق كبيرهم: بمنزلة الوالد، وما يجب له من توقير وأدب ومساندة له، وكذلك صغيرهم بمنزلة الولد: وما يجب له من رفق ورحمة وعناية وتربية وعفو، وأوسطهم: بمنزلة الأخ، بالحب واللطف والرحمة والرعاية ولذلك قال منبهًا: **"صل أخاك بما يحب للأخ على أخيه"**

قال ρ كما سبق **(تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلالة صدقة وأفراغك ومن دلوك في دلو أخيك لك صدقة)**[2].

25- حق أهل الذمة:

([1]) الصحيفة: ص 249-250.

([2]) الحديث سبق تخريجه .

الذِّمةُ: العهد والأمان والكفالة، والحق والحرمة، " وعند الفقهاء ": معنى يصير به الإنسان أهلاً؛ لوجوب الحق له أو عليه .

ويقال في ذمتى لك كذا .

"وأهل الذمة": المعاهدون من أهل الكتاب، ومن جرى مجراهم " والذّمى ".الذى أعطى عهدًا يأمن به على ماله، وعرضه ودينه قال الله تعالى: **﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** [1].

وعلى ذلك فإن أهل الذمة هم أهل الكتاب، وقد أطلق علهم بأهل الذمة، تنبيهًا على خطر التفريط في حقوقهم ؛ ولذلك ذكرهم إمامنا في أخر حق في رسالته، للحقوق لأهمية الوفاء بحقوقهم، في سطور عديدة وضح القيم والأخلاق النبوية، لقوله ρ: (من ظلم معاهدًا كنت خصمه ...) [2].

يوضح ذلك التالى:

" وأما حق أهل الذمة فالحكم أن تقبل منهم ما قبل الله، وتفى بما جعل الله لهم من ذمته وعهده، وتكلهم إليه فيما طلبوه من أنفسهم وأجبروا عليه.

وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك، فيما جرى بينك وبينهم من معاملة.

وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله، والوفاء بعهده، وعهد رسول الله ρ حائل فإنه قال: (من ظلم معاهدًا كنت خصمه) (فاتق الله) ولا حول ولا قوة إلا بالله .

1- لقد أشار إمامنا بقوله: أن الحق أن تقبل منهم ما قبله الله، ونفى بما جعل الله لهم من ذمته وعهده "

ومن ثم الواجب على المسلمين في البلاد الإسلامية، أن يتذكروا دائمًا فى التعايش معهم أنهم أهل ذمة ومعاهدة، فلا إكراههم على شيء هم عرفوه، ورغم ذلك رفضوا الإعتقاد به، فحسابهم على الله تعالى الذى وصّى بهم، مالم يظلموا، ويفسدوا فى الأرض .

قال الله تعالى: **﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾**[3].

2- ثم قال إمامنا منبهًا إلى الوفاء بما جعل الله تعالى لهم من ذمته وعهده من العدل والمساواة، وحرية العقيدة لقوله تعالى: **﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾**[4].

ومن خير القصص الإسلامي في الأدب والأخلاق، من صحابة رسول الله ρ لأهل الكتاب أو الذمة:-

وصية عمر بن الخطاب τ، لسعد بن أبي وقاص، ومن معه من الأجناد، حيث أذكر من وصية لهم: "... ونح منازلهم (أي جنودك) عن قسرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلاَّ من تثق بدينه، ولا يرزا أحدًا من أهلها شيئًا، فإن لهم حرمة وذمة، ابتليتم بالوفاء بها، كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فوفوا لهم"[5].

فقد اتضح مدى الرحمة، والرفق بأهل الذمة، حيث رضوا بدينهم بعاداتهم فيه، في زمن عظمة الأمة الإسلامية وحضارتها، ولأنه لا إكراه في الدين، فعاشوا في قيم إسلامية عظيمة، وحرية ومساواة، فقد وضح رفق عمر بن الخطاب بهم، وأمره بتنحيه جيشه عنهم، وهذا يوضح إلى أي حد كانت حياتهم كريمة، فى ظل الحضارة الإسلامية.

3- وقد نبه امامنا τ أن تحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك، فيما جرى بينك وبينهم من معاملة.

قال الله تعالى: **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [6].

([1]) العنكبوت: آية 46.

([2]) الحديث رواه البخارى ومسلم.

([3]) الشورى: 14 – 15.

([4]) الغاشية: 21-22.

([5]) تابع تفصيل هذه الوصية في: نهاية الإرب: ج6: ص 179.

([6]) الممتحنة: أية 8.

4- وعلى ما سبق نبه إمامنا "زين العابدين" تحريم ظلمهم، وأن هذا الظلم من التفريط في أمره سبحانه وتعالى في حقهم، قال صلى الله عليه وسلم: **(اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم وأستحلوا محارمهم)** [1].

ومن العدل الوفاء بعهده ρ كما سبق في حديثه ρ

ومن الظلم لهم أن يقتطع شبرًا من أرضهم، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أن رسول الله ρ قال: **(من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا طوقه الله أياه يوم القيامة من سبع أرضين)**[2].

وإن هذا الحديث يخص الذمى وغيره؛ لأن الظلم بوجه عام يحرم على بنى آدم، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:

(لعن الله من رأى مظلومًا فلم ينصره) [3] **وقال ρ: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)** [4].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين اللهم صلِّ وسلم وبارك على حبيبك المصطفى وعلى آله وصحبه وبعد:

رضى الله تعالى عن الإمام العارف بالله تعالى" على بن الحسين زين العابدين"، التقى النقى الطاهر العلم.

الجدير بالذكر: أن أى كلمات ووصف فى علم ومعرفة إمامنا لا تصف أبدًا حقيقة شخصيته وصفاته السامية، لكن من المهم جدًا على وجه الخصوص فى هذا العصر، الذى أهمل فيه سير وعلوم آل بيت الرسول ρ ، معرفة الواقع الحيّى للتقوى والإستقامة، وطريق الهداية من أنوارهم رضى الله تعالى عنهم جميعًا.

وإن من خير الخير لبيت الحبيب المصطفى ρ وسلم إمامنا "زين العابدين" الذى خرج من محنته بعظات وعبر، زادته نورًا على أنوار أسلافه والذى إستقام على منهجهم، حيث إن رؤيته لأهل بيته يذبحون، على رغم بكاءه وحزنه عليهم، لكن على الجانب الآخر كان قوى الصلة بربه صادق العزم؛ ولذلك لما سئل عن كثرة بكاءه قال: "إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف، ولم يعلم أنه مات، وإنى رأيت بضعة عشر من أهل بيتى يذبحون فى غداة واحدة، فترون حزنهم يذهب من قلبى أبدًا"[5].

ومن ثم سار إمامنا فى حياته يكتسب مع الصبر الحلم والعلم، الذى كان τ يطبقه بأنفاسه ونبضات قلبه على أسس ومبادئ الإستقامة من القرآن الكريم، وأقوال جده وأفعاله ρ، بعقيدة ومبادئ سار عليها:

- وما توفيقى إلَّا بالله – لكل غم حسبى الله – القوة لله جميعًا – ثم العزة لله جميعًا – الحمد لله العلى – إن الله بالغ أمره.

وإن هذا الأصول كانت طريقًا ونبراسًافى حياته، زادته إيمانًا وبصيرة بربه، وقوة وشدة، فجعلته فى إستسلام مطلق لله تعالى، مما جعل الناس يطلقون عليه بالسجاد، الذى ظل قلبه ساجدًا خاشعًا طائعًا لله تعالى، مع قالبه طيلة حياته.

فلا عجب أن نجد من مؤلفات إمامنا "رسالة الحقوق" والتقوى والإستقامة لطريق الهداية، لمن أراد أن يستشرف طريق النور.

فما أشد حاجتنا إلى التثبت بها، والسير على خطاها، بقدر المستطاع.

لكن يجب أولًا أن تكون النوايا خالصة لوجه الله تعالى، وحسن التوكل عليه، وجمع شحائل النفس على تحرى العمل بها.

([1]) رواه مسلم في البر – باب (تحريم الظلم) 1996/4.

([2]) أخرجه مسلم في المسافاة – باب (تحريم الظلم) 1230/3.

([3]) كنز العمال 414/3.

([4]) أخرجه أبو داود والترمذى، وقال: حسن صحيح الجامع الكبير 215/1.

([5]) سيدنا زين العابدين: الإمام الدكتور عبد الحليم حمود: ص 26. (بتصرف)

إن إمامنا فى رسالته على رغم من كلماتها الوجيزة، فقد حقق ووضح الإسلام، بواقع العمل والخير فى الدنيا، وجنات النعيم فى الآخرة، فى قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [1].

ومن المهم الإشارة لمن فرق دينه شيعًا، أن ننبهه إلى أن إمامنا كان يقدر صحابة رسول الله ρ، ويعرف مكانتهم فى الإسلام، وهو الذى قال: **" كان أبو بكر وعمر من رسول الله ρ فى حياته بمنزلتهما منه بعد وفاته"**.

وقد أنجب إمامنا عدة أولاد، وكان فى أسماء هؤلاء الأولاد، من بينهم "عمر"، وهذا يدل على مدى تقديره τ" لعمر بن الخطاب ".

وهو الذى قال: **"والله ما قتل عثمان على وجه الحق"**، وكان τ يثنى على "أبى بكر" "وعمر"، "وعثمان"[2]، ويترحم عليهم فلم يفرق بين صحابي وآخر كما سبق.

فى الواقع: أن الذى يتخذ من حب آل بيت الرسول ρ فُرقة لينبذ بها صحابة رسول الله ρ وليفرق جمع الأمة الإسلامية هو: لم يحب ولم يقدر بأى حال من الأحوال رسول الله ρ، ولا آل بيته فقد اتبع هواه فأضله على غير علم.

فقد جهل وعمت بصيرته عن رؤية الحق، والمنهج الإسلامى الذى يجمع ولا يفرق، ويهدى ولا يضل، وكذلك عمت بصيرته عن معرفة ورؤية حقيقة أكاذيب وتضليل شياطين الإنس والجن؛ لتشويه وتحريف خير صورة وواقع للحق، فى خير من حملوا لواء الإسلام، ومن أثنى عليهم الحبيب المصطفى ρ.

وعلى الجانب الآخر فى عصرنا: لقد ذكرت بإيجاز وقفات حول البيان العالمى لحقوق الإنسان فى **"لائحة الأمم المتحدة"**، وقد تبين عجزهم حتى عن التظاهر أمام العالم، بتطبيق الحقوق التى يزعمون معرفتها.

وقد اتضح أن نظرتهم الإستعمارية، والكره والحقد لم تتغير على مرّ العصور للعالم الإسلامى، بل تفاقمت إلى استعمار النفوس والسيطرة التامة.

ومن بين ما ذكرته من صور ظلمهم **"حق الفيتو"**، "والكيل بمكيالين" وتقسيم العالم بنظرتهم الإستبدادية، والظلمات التى أحاطت بالإنسانية بسبب النظرة العنصرية البحته، وحب السيطرة على العالم الإنسانى كله.

وإن الواقع الملموس والمشاهد أمام العالم خير شاهد، على ضياع الحقوق وسفك الدماء، وصور الظلم المختلفة المنتشرة بالعالم العربى.

ومن المحزن والمؤسف أن من العرب من تخاذلهم، وضعفهم، وجهلهم بحقيقة وحق القرآن الكريم، وأنوار الحبيب المصطفى ρ فى أقواله وأفعاله، وما نهجوا على خطاه من آل بيته وصحابته.

كل هذا الحق ... ويسيرون وراء قرارات هؤلاء، وزعمهم المزيف للحقوق، ويطبقون ذلك، ولو كان من الظلم المشاهد لهم.

ولذلك من الجدير بالذكر لقد تبين أنه يستحيل على الإنسان أن يكون هو الشارع، والمشرع له فقد رأينا من لائحة الحقوق للأمم والمتحدة .. وغيرها من قوانين وضعية أفسدت ما بين الشعوب والعالم فى تطاحن وغليان، وتقاتل، فإن سفك الدماء لا ينقطع على الأرض **وللأسف إن الأوضاع تزداد سوءًا وفسادًا.**

ومن ثم إن رب الكون وخالقه ومالكه هو المشرع الحكيم العليم بخلقه.

لقد أرسل رسله وأنزل كتبه السماوية لهداية الإنسان وتكريمه، هكذا وضح إمامنا "زين العابدين" أن حقوق الإنسان الواجب أن يفعلها لغيره، كما يريدها لنفسه.

لكن والأحق فى الإسلام أشار إليه إمامنا أن النظرة الأولى للحقوق، والأساس هو أن يعمل الإنسان ما عليه، فلا يستطيع أن يتذوق المفهوم الصحيح للحقوق مالم يحقق كل ماعليه، فى سره وعلنه بنية واحدة وإرادة هى لله تعالى، وإن الهدف والغاية من فعلها هو لله تعالى الواحد الأحد فى الإصلاح والصلاح.

([1]) آل عمران: آية 101.

([2]) سيدنا زين العابدين: الإمام عبد الحليم محمود: ص 71: 73 (بتصرف)

ومن ثم لقد تبين فيما عرضته من الحقوق الهامة جدا: حق التعايش مع الآخر والعدل والإنصاف له، ذمة الله تعالى "أهل الكتاب" من لا يفى بها فالرسول خصمه يوم القيامة.

وهذا يدل على حق الحرية والعدل، وجمالهما فى الإسلام، وعدم الإكراه على شيء، وحقيقة المسؤولية؛ ليعم السلام والأمن بين الناس.

وهكذا وضح إمامنا من خلال ما ذكره τ أن بتطبيق الحقوق، تتزن وتستقيم كل المخلوقات فى فطرتهم السليمة نقية كما خلقها الله تعالى، وصَوّرها.

وهى شجرة متصلة الحلقات، والأصول بالفروع فإذا فرط فى أصل سقط الفرع، وهكذا فى كل الحقوق أن سقوط أحدها والتفريط فى العمل به يسقط الأخر، وإليكم الرسم التالى الذى يوضح تسلسل الحقوق وترابطها بعضها ببعض:

الأساس الأول
(حق الله سبحانه وتعالى)
يتفرع منه حق النفس الذى يتفرع منها

(1) تابع تفصيل الحقوق فى الصحيفة السجادية.

فعلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها: أن يرجعوا إلى سيرة الحبيب المصطفىρ، فى أقواله وأفعاله وآل بيته وصحابته؛ ليكتسبوا أصول الحقوق والإستقامة، وليحيوا حياة صحيحة بالحب الوفاء والحكمة والموعظة الحسنة.

ولينزعوا ما بينهم من خلافات، ويحقنوا الدماء بينهم، وليعفوا وليعتصموا بحبل الله تعالى جميعًا ويتحدوا على العمل الصحيح بكتاب الله تعالى، وسنة الحبيب المصطفى ρ، وعلى كلمة سواء تصلح بينهم.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.
2- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – وضعه محمد فؤاد عبد الباقى – ط دار الشعب.
3- صحيح البخارى.
4- صحيح الترمذى.
5- صحيح مسلم.
6- إحياء علوم الدين – الإمام أبو حامد الغزالى – ط دار الحديث.
7- إسعاف: الراغبين فى سيرة المصطفى، وفضائل أهل بيته الطاهرين – للشيخ محمد بن على الصبان – ط مصطفى البابى الحلبى – على هامش كتاب "نور الأبصار".
8- الإتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان – د/ وائل أحمد علام – ط الأنجلو.
9- إشكالية الإستبداد والفساد – أ.د/ عبد الحميد أحمد – ط دار السلام.
10- الإسلام والآخر – (أحمد الجهينى – محمد مصطفى) – ط الهيئة المصرية للكتاب سنة 2005م.
11- الإسلام والقانون الدولى – أ.د/ إحسان هندى – ط دار التراث العربى.
12- الإعلان العالمى لحقوق الإنسان (الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان) – د/ محمود شريف بسيونى – ط دار الفكر العربى بالقاهرة.
13- الحوار شريعة وواقعًا وتاريخيا – د/ منير محمد الغضبان – ط دار السلام.
14- السير والسلوك إلى مالك الملوك – الشيخ قاسم بن صلاح الدين الحلبى – ط دار مكة المكرمة . (الجيزة - مصر).
15- الصحيفة السجادية الكاملة ورسالة الحقوق– ط دار القارئ سنة 1433–2012م، الطبعة الثانية (العراق).
16- الوجيز فى حقوق الإنسان وحرياته الأساسية – د/ غازى حسن صبارينى- ط دار الثقافة (الأردن) سنة 1995م.
17- أهل البيت حقائق وأعلام – أ.د/ أحمد محمود كريمة – ط جزيرة الورد.
18- حضارة العرب – لغوستاف لوبون – ترجمة عادل زعيتر – طبعة الهيئة العامة للكتاب سنة 2002م.
19- حقائق من الفكر الإسلامى – أ.د/ محمد عبد اللطيف صالح الفرفور – ط دار المكتبى (الأولى) سنة 1423ه – 2002م (سوريا - دمشق).
20- حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة – الشيخ محمد الغزالى – ط مكتبة النهضة سنة 2005م (الرابعة).
21- حقوق الإنسان بين المفهوم الغربى والإسلامى – د/ نبيل فروز – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 2002م.
22- حقوق الإنسان فى الشريعة الإسلامية – د/ عبد السلام الترمابينى – ط دار الفكر العربى.
23- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – الحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى المتوفى سنة 430هـ - مكتبة الخانجى – ومكتبة السعادة سنة 1387هـ - 1967م.
24- روضة التعريف بالحب الشريف – الوزير لسان الدين الخطيب – ط دار الفكر العربى.
25- سيدنا زين العابدين – الإمام الدكتور/ عبد الحليم محمود – ط دار المعارف (الثانية).
26- الطبقات الكبرى الإمام عبد الوهاب الشعرانى – ط المكتبة التوفيقية (القاهرة) – بدون تاريخ.
27- فى مصطلحات الشريعة والقانون – أ.د/ عبد الواحد على – طبعة دار الفكر.
28- مختصر تاريخ الحضارة – أرنولد توينبى – ط الإدارة الثقافية بالجامعة العربية (الثانية).
29- مختصر منهاج القاصدين – الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسى – ط إحياء الكتب الإسلامية (بيروت).
30- مدارج السالكين – ابن قيم الجوزية – ط دار الحديث.

31- معجم إعلام المورد – منير البعلبكى – ط دار العلم للملايين – (بيروت – لبنان) سنة 1992م.
32- منازل السائرين – الإمام الهروى – ط البابى الحلبى.
33- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال – علاء الدين المتقى الهندى – ط دار الفكر.
34- نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبي المختار – الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجى – ط الحلبى 1367هـ - 1948م.

فهرس الموضوعات

1- المقدمة	1
2- **الفصل الأول** (أسس النظرة الإسلامية للبشر).	4
تمهيد	4
3- **المبحث الأول** (وقفات فى عظمة الحضارة الإسلامية).	5
الوقفة الأولى (عظمة الإسلام من مهده).	5
الوقفة الثانية (فى الفتوحات والدعوة الإسلامية).	5
الوقفة الثالثة (الود، والتسامح، والتعايش ووجوه البر والقسط فى البلاد المفتوحة).	7
الوقفة الرابعة (فى علم المسلمين من علوم وأصول فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة).	9
4- **المبحث الثانى** (الأسس والأصول الإسلامية فى حقوق الإنسان).	11
- **الأصل الأول:** حقوق المسلم فى التعليم والتعلم.	11
وقفة جديرة بالذكر فى إستقامة العقل والدين.	12
صلة الكون بالمعلم والعالم.	12
- **الأصل الثانى:** العدل والمساواه.	13
وقفات من الصور العظيمة فى الحضارة الإسلامية.	13
- **الأصل الثالث:** حقوق وحرية أهل الكتاب.	15
وقفة جديرة بالذكر فى مدى الرحمة والرفق بأهل الذمة.	16
- **الأصل الرابع:** حق الحياة وحرمة الدم.	17
- **الأصل الخامس:** قدرة الحاكم وحكمته السياسية.	18
وقفة جديرة بالذكر فى تدهور أحوال المسلمين.	19
5- **المبحث الثالث** (وقفات فى البيان العالمى لحقوق الإنسان).	21
موجز عن نشأة ميثاق لائحة الحقوق للأمم المتحدة.	21
تعريف ميثاق الأمم المتحدة.	22
النظرة الاستعمارية فى كثير من الأحيان لم تتغير.	23
- الوقفة التعجبية الأولى.	23
الوقفة التعجبية الثانية (حق الفيتو).	24

العنصرية البحتة فى حق الفيتو.	26
- الوقفة التعجبية الثالثة.	27
- الوقفة التعجبية الرابعة.	28
- **الفصل الثانى** (وقفات من سيرة الإمام على زين العابدين).	29
أولاً: إسمه ونسبه ومولده.	29
ثانيًا: قبسات من مواقفه ومكانته.	30
ثالثًا: قبسات من سيرته العطرة فى شهرته بزين العابدين.	32
رابعًا: قبسات من علمه ومعرفته بربه.	34
من الجدير بالذكر فى علمه وتقواه لله تعالى.	36
وقفة جديرة بالذكر فى علم زين العابدين.	38
- **الفصل الثالث** (نظرة مجملة فى رسالة الحقوق لزين العابدين).	41
تمهيد	41
تعريف الحقوق لغة وإصطلاحًا.	41
الأسباب الداعية لزين العابدين لتأليف رسالة الحقوق.	43
النفحات الربانية للإمام زين العابدين فى سرد الحقوق وعدها.	45
- **الفصل الرابع** (تفصيل وتحليل رسالة الحقوق لزين العابدين).	48
تمهيد	48
الحق الأول: أصل الحقوق هو حق الله سبحانه وتعالى.	48
الحق الثانى: حقوق الأعضاء.	50
1- حق النفس.	51
2- حق اللسان.	52
آفات اللسان	52
الآفة الأولى: الكلام فيما لا يعنى.	54
الآفة الثانية: الخوض فى الباطل.	54
الآفة الثالثة: الفحش والسب وبذاءة اللسان.	54
الآفة الرابعة: المزاح.	55

الآفة الخامسة: السخرية والاستهزاء.	55
الآفة السادسة: إفشاء السر.	55
الآفة السابعة: الغيبة والنميمة والبهتان والإفك.	55
3- حق السمع.	57
4- حق البصر.	58
5- حق اليدين.	58
وقفات فى العمليات النفسية التى تسبق الفعل.	59
6- حق الرجلين.	61
7- حق البطن.	61
8- حق الفرج.	62
ثالثًا: حقوق الأفعال	63
1- حق الصلاة.	63
2- حق الحج.	64
3- حق الصوم.	65
4- حق الصدقة.	66
5- حق الهدى.	67
6- عامة الأفعال.	69
رابعًا: حقوق الأئمة	69
1- حق سائسك بالسلطان:	69
وقفة فى عظمة رسالة الحقوق.	70
2- حق المعلم.	70
3- حق المالك.	71
خامسًا: حقوق الرعية	71
1- حق الرعية.	71
2- حق المتعلم.	72
3- حق الزوجة.	73

4- حق المملوك.	73
سادسًا: حقوق الأرحام	74
1- حق الأم.	75
2- حق الأب.	75
3- حق الولد.	76
4- حق الأخ.	76
سابعًا: حقوق الناس	77
1- حق المنعم بالولاء.	77
2- حق المولى.	78
3- حق صاحب المعروف.	78
وقفة جديرة بالذكر فى شكر صاحب المعروف	79
4- حق المؤذن.	79
وقفة مع إمامنا فى حق المؤذن.	80
5- حق إمام الجماعة.	80
6- حق الجليس.	81
7- حق الجار.	81
8- حق الصاحب.	82
9- حق الشريك.	83
10- حق المال.	83
11- حق الغريم.	84
12- حق الخليط.	85
13- حق المدعى.	85
وقفة فى عظمة ذكر إمامنا فى هذا الحق.	87
14- حق الخصم المدعى عليه.	87
وقفة واجبة الذكر فى عظيم الحقوق الإسلامية.	87
15- حق المستشير.	88

16- حق المشير.	89
وقفة واجبة الذكر فى عظيم أخلاق زين العابدين وعلمه.	89
17- حق المستنصح.	90
18- حق الناصح.	91
وقفة فى آداب سماع النصح.	92
19- حق الكبير.	92
20- حق الصغير.	93
21- حق السائل.	94
الواجب فى حق السائل.	94
22- حق المسؤول.	95
23- حق من السَّار.	96
24- حق من أساء القضاء.	97
وقفة هامة فى عظمة إمامنا زين العابدين.	97
25- حق أهل الملة.	98
وقفة جديرة بالذكر مع عظيم حقوق إمامنا.	98
26- حق أهل الذمة.	100
-الخاتمة.	102
-فهرس المصادر والمراجع.	107
-فهرس الموضوعات.	109